الشيعة العربية

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

تجليد صالح الدقر
تلفون ٢٢٩٧٧

371.83
D327sA

الشبيبة المدرسية

فرع

جمعية قدماء الصادقية

طبع بالمطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ - تونس

بسم الله الرحمن الرحيم

تقضت سنة ملؤها العمل والكد المتابع من حياة جمعيتنا الفتية وتتقدم اليوم الى القراء بهاته النشرة ، وهي أول ثمرة مجهود نذيعة في الناس عسى الناس يقفون على ما نبذله من العمل وتنفقه من العناية في تثقيف الشباب . وهي عناية طيلة سنة كاملة هي سنة ٣٣ - ١٩٣٢ فليقرأها وليتبينها فهي صفحات صادقة من صفحات الفتوة والشباب .

وهاته النشرة ، ايها القاري ، هي اول نشرة تقرأها لنا وهي دلالة واضحة على حياة فينا لم يعهد مثلها من قبل .

انا اقد فهمنا اليوم ما في التكاتف من خير ، وفهمنا ما في الاتحاد والاخوة من نفع عميم . وآمنا اخيرا انه شر وبلاء ان نقف ذاهلين مكتوفي الايدي ، ملجمي الافواه ، هامدي النفوس ، لا نتحرك لوهج الحياة وضياء الاجود ولا نجاوب التطور الفكري والرقي البشري العتيد .

وسرنا نحو غايتنا هازئين بالعقبات ساخرين من العراقيل لانه وجب علينا السعي وتحتم علينا المسير . فكانت محاضراتنا تأمها الجماهير وتحضرها الشخصيات المحترمة ، وكانت رحلاتنا خصبة الفوائد ، خصبة الجني وهو سعي ومسير - علاوة على فيضه بالفوائد العقلية - اتاح لنا التعارف واتاح لنا تمتين العلائق فزادنا فهما بتاكد الاخاء ، وتاكد التفاهم الذي يحتمه نجاح الغاية ويفرضه رضاء الضمير .

ويشهد القارى انا حققنا - ولله الحمد من الغاية غير التافه وذللنا من الموانع الشيء الكثير ، ونزف اليه كتاب الشباب ليمعن النظر في صفحاته . وليعلم اننا ندين بنجاح مساعينا الى شخصيات بارزة من قدماء الصادقيين ، خصوصا المحترم سيدي محمد المالقي رئيس « جمعية قدماء الصادقية » الذي ما جحد عنا معونته وقد كنا اضماء ما نكون اليها فمنحنها وكتب على صفحات قلوبنا اجمل ما يكتبه المرء لبقاء ذكراه .

الحبيب مبارك

« رئيس الشبيبة المدرسية »

التقرير الادبى

تاسست « الشبيبة المدرسية » الفرع المدرسي لجمعية « قدماء الصادقية » منذ افريل سنة ١٩٣٢ وجعلت تخطو الى الامام حتى وصلت الى الدرجة التي هي عليها الان من الازدهار .

كانت الشبيبة التونسية اعني تلامذة المدارس الثنوية في تعطش الى جمعية تشمل كافة ابناء المدارس توحد افكاركم وامالهم ومرماهم الادبي . وكانت قبل ذلك تسعى المرار العديدة في تكوين الجمعيات والنوادي الادبية ولكن من سوء الحظ لم تنجح في اعمالها لاسباب ليس لنا ان نذكرها في نشرية مثل هذه . وفي اثناء العام رات الشبيبة الحاجة في تاسيس جمعية غايتها ايجاد روابط المودة والصداقة والتعاضد بين ابناء المدارس . وبعد ابحاث طويلة واجتماعات متعددة وقع انتخاب مجلس وقتي اخذ على عاتقه ان يعمل بكل ما في وسعه في اعطاء الجمعية صفة قانونية تمكنها من القيام بالاعمال التي سطرت ببرنامجها ففكر المجلس اذ ذاك في وضعها تحت اشراف جمعية اسبق منها في العمل واقدم في التجارب والجمعية الوحيدة التي تتفق معها في المرمى الذي تقصد اليه انما هي « جمعية قدماء الصادقية » التي تعد الآن من ارقى جمعياتنا الادبية والتي تشمل كافة مفكري البلاد فقبل مجلسها اقتراح الشبيبة بسرور وابتهاج

وفي اوائل جوان من العام الماضي وقع انتخاب المجلس الحالي للشبيبة المدرسية بعد الاجتماع العام بمحضر مائتين وعشرين مشترك . فاخذ هذا المجلس ادارة الامور بيده واتخذ جميع الوسائل التي كانت تمكنه من تطبيق برنامج الاعمال المسطر بالقانون الداخلي الذي سن . وهذا القانون الداخلي يطابق كل المطابقة قانون « جمعية قدماء الصادقية » الاساسي ووقعت عليه المصادقة من طرف مجلسها بالاجماع .

اما الغاية الاولى التي ترمي اليها الجمعية فهي ايجاد التعارف والتوادد المفقودين في الشبيبة التونسية لاسباب كثيرة منها عدم الاجتماع والاختلاط كان تلميذ الليسي

كارنو او العلوية يعيش بين اقرانه من مواطنين واجانب في وسط يختلف كل الاختلاف مع الوسط الذي يعيش فيه الطالب الزيتوني او التلميذ الصادقي فيتعود بعوائد لا تشبه عوائد الطلبة الآخرين في شيء . وهذا يفهم من اختلاف المشارب الادبية لان الاولين ينموان في وسط ذي ثقافة غربية والآخرين في وسط ذي ثقافة شرقية .

وهاته الحالة كانت سيئة جدا على المجتمع لان اكثر النكبات انما هي ناتجة عن سوء التفاهم وجهل النفوس . فسعت الجمعية في تحسينها بتحريض الشبيبة على الحضور بقاعة الاجتماع وعقدت اجتماعا في كل اسبوع فاقبل الشباب اقبالا عظيما على هذه المظاهرات الادبية وبذلك حصل مقصد الجمعية الاول من ايجاد روابط المودة بين مختلف الاشخاص . والآن نلاحظ بكل السرور ان الاجتماعات المتعددة مكنت الافراد من معرفة بعضهم البعض الآخر وان احتكاك الافكار من بسط اراء ومفاهمات اعتراضية كون فيهم فكرة الاخوة والصداقة الحقة .

ومن اعمال الجمعية ايضا خدمة الآداب ونشر اللغة العربية وذلك بالمسامرات والمحادثات التي تقوم بها الشبيبة اجابة لدعوة المجلس . فالقيت بقاعة « جمعية قدماء الصادقية نيف وثلاثين مسامرة وهذا العدد يدل على ما للشباب من الاهتمام بهذا المشروع الشريف الغاية ومن الميل الى لغة قومهم وآدابها . وكانت قاعة الجمعية لا تسع الذين ياتون لاستماع اقرانهم .

والقصد من هذه المسامرات زيادة عن التعارف وتلاطم الافكار تعويد التلامذة على الخطابة اولا ثم على المطالعة والبحث ثانيا وايضا على الامتثال لادب المحادثة والمجادلة . ويكفيك ان تنظر الى سلسلة المسامرات التي القيت ولو نظرة عامة لتعرف قيمة الجهود التي بذلت في هذا المضمار .

اما من المواضيع التي طرقت فهي تختلف باختلاف الاذواق . فهنالك من حاضر في التاريخ ومن حاضر في الاسفار ومن حاضر في الفنون من تصوير وموسيقى وفن الآثار والعدد الجم انما حاضر في الاداب خصوصا في الاداب العربية واما من المواضيع الاجتماعية فرأى المجلس من الخير ان ينشطها مع التحري الذي

يستوجبه طرق مسائل مثل هذه . فالقيت مسامرات يجاوز عددها الخمسة من هذا القبيل وجعلها المجلس اعتراضية ليكون فيها الحظ للجميع من بسط الافكار والقاء الاراء المختلفة . ثم ان المجلس رأى حذو ذلك ان يستعمل وسائل تنيشطية تجعل بين المحاضرين من التلامذة تزاحما في اتقان المسامرات ونشاطا في خدمة اللغة .

فساعده مجلس قدماء الصادقية في ذلك ادبيا وماديا . فبفضل ذلك اسس المجلس جائزات تمنح في كل آخر سنة مدرسية تنشيطا للشبان الذين اظهروا مزيد الحزم والمقدرة في طرق المواضيع . كما اسس ايضا جائزات اخرى تعطى الى الناجحين في الامتحانات الثنوية من المنخرطين في الجمعية وفي اثناء المادبة التي قام بها المجلس في آخر السنة وسياتي ذكرها وقع توزيع الجائزات .

وبازاء هاته المؤسسات فكر المجلس في تربية الاحساس الفني في نفوس الشبيبة بتنشيط المصورين والمزوقين فاسس احتفالا سنويا سماه « معرض الشبيبة » القصد منه عرض مصطنعات المتفننين اكراما لهم وبمناسبة مسامرة القاها احد تلامذة مدرسة نواضر الفنون الاخ علي بن سالم وحضور احد المصورين المستشرقين الاستاذ عبد النور وقع هذا الاحتفال لاول مرة فجمع المجلس الصور التي قدمها ارباب البه من كافة المدارس الثنوية ووقع عليها اقدام عظيم ومن التلامذة الذين عرضوا الاخ علي بن سالم وهو من ابرع تلامذة مدرسة الفنون والاخوان عبد الرحمن والهادي الجزيري وصالح مراد وقصي المكي ونخص بالذكر الشاب النابغة حاتم المكي سنه يبلغ الثانية عشر ولكنه تى بالسحر وهو على صغر سنه له عبقرية ستكون في حالة خصب عن قريب وذلك بفضل مواهبه الفنية وذوقه السليم .

ومنذ تاسيس الجمعية سعى المجلس في تكوين مكتبة بدات في النمو ونرجو لها ان تكون من اهم خزائن البلاد . اما الآن فهي تشتمل على كتب تكلف حضرة الاستاذ سيدي محمد عطية بتعيينها وهي من الكتب التي تعينت الحاجة اليها لعدم وجودها بخزائن المدارس . ونرجو ان يكون الحظ الاوفر في تكميلها الى اصحاب الخير ومحبي الادب والثقافة الاسلامية .

واعمال الجمعية لم تقتصر على ذلك فقط بل قامت برحلات عديدة في القطر التونسي وذلك حسب القانون الداخلي . والقصد من الرحلات معرفة كافة نواحي البلاد والراحة من التعب الفكري الذي يحصل من الخدمة الدراسية . وكان قبل ذلك يجهل الشباب التونسي بصفة عامة اشهر اماكن وطنه ومواقعه الطبيعية ونحن نعتبر انه من العار علينا ان نتم معلوماتنا الثنوية من غير ان نعرف سوى مسقط رأسنا فسعى المجلس الحالي في ايجاد المرافق المادية والادبية التي يمكنه بفضلها القيام برحلات تتركب من التلامذة الذين يزاولون التعليم بالحاضرة .

فلا تخفى اهمية هذه البديهة من جميع الوجوه على مجلس قدماء الصادقية فساعدنا رئيسه الحازم الفاضل سيدي محمد المالقي وعمل بكل الوسائل التي كانت لديه في تسهيل اعمالنا فخاطب في ذلك السادة العمال من قدماء الصادقية في قبولنا فاجابوه بكل السرور وكانت حضراتهم تقوم بالمآدب والاحتفالات الشائقة كلما حللنا بعمل من اعمالهم شكرا لهم عن هذه الاحساسات الطيبة والتنشيطات التي اخذت بمجامع القلوب كما اننا لا ننسى المساعدة التي وجدناها من طرف حضرة سيدي ڤو مدير العلوم والمعاوف حيث خول لنا المبيت في المدارس الموجودة بالمدن التي اقمنا بها الليل كما انا لا ننسى ان بفضل سيدي حموده بوسن امين مال مجلس جمعية قدماء الصادقية امكننا ان نتجول بترسخان فرفيل وذلك بموافقة وزير البحر فخامة الامرال دي لافورد الذي عين من طاف بنا بالمعامل شكرا له عن احساسه الجميل . ففي اثناء العام المدرسي الفارط قامت الجمعية باربع رحلات بمناسبة الاعياد والمواسم الاسلامية واشتملت هذه الرحلات على زيارة الشمال التونسي والشرق الشمالي من القطر ودامت مدة ثمان ايام وسياتي ذكرها بالتفصيل

وفي آخر السنة قامت الجمعية بمأدبة القصد منها الاجتماع بالسادة الافاضل قدماء الصادقية والاحتفال بالذين نجحوا في الامتحانات وتكريم من احرز على جائزة من الجائزات التي اسستها الجمعية . وهذا الاحتفال وقع عليه اقبال عظيم وهذا مما يدل على اهتمام رجالنا بمستقبل الشبيبة وبمظاهراتها الادبية كما انه يجعل لها ولاعمالها صدى يجلب اليها المساعدات والاعانات الادبية

وفي آخر مامورية اراد المجلس طبع هذه النشرية التي ستكون سنوية وهي تحتوي على بسط اعمال الجمعية في كل سنة ونشر بعض تقارير ومسامرات مهمة القيت بقاعة الجمعية والقصد من ذلك التعريف بغايتنا الشريفة واعمالنا راجيا المساعدة من طرف كافة التونسيين مساعدة يمكنه بفضلها اتمام كل ما يرمي اليه من غايات جميلة ترجع لا محالة بالنفع على المجتمع .

الباهي الادغم

الكاتب العام للشبيبة

التقرير المالي

نستخرج هذا التقرير من التقرير المالي لجمعية قدماء الصادقية التي تكفل فرع « الشبيبة المدرسية » ادبيا وماديا. ونتقدم الى القراء بحساب المال المقبوض والمصروف ، الخاص بالشبيبة ، الى موفى اكتوبر سنة ١٩٣٣

I المقبوض

١) المال الباقي بصندوق الجمعية بعد حساب عام ١٩٣٢-٣١		٤١»٥٠
٢) اشتراكات		٣٤٧»٥٠
٣) التبرعات	بالمقتطع عدد ١ (تبرعات ٢٠)	٦٥٠»٠٠
	بالمقتطع عدد ٢ (تبرعات ٧٨)	٤٨٠»٠٠
٤) مدخول الرحلات	رحلة الشمال الشرقي	٤٠٠»٠٠
	رحلة بنزرت	٢٥»٠٠
الجملة		١٩٤٤»٠٠

II المصروف

١) مصروف الرحلات	رحلة قربص	٩٥»٠٠
	رحلة الوطن القبلي	١٠٠»٠٠
٢) مصروف مادبة الشبيبة السنوية – موفى جوان		١٤٢»٥٠
٣) مصروف « مناظرة ابن حفصية »		٥»٠٠
٤) مصروف المكاتبات		٥»٠٠
٥) مصروف احتفال افتتاح السنة المدرسية ـ اكتوبر		١٠٥»٠٠
الجملة		٤٥٢»٥٠

الباقي حينئذ بصندوق الجمعية – غرة نوفمبر ١٩٣٣ :

المقبوض	١٩٤٤»٠٠
المصروف	٤٥٢»٥٠
	١٤٩١»٥٠

ولقد خصصنا هذا المقدار الى طبع هاته النشرة.

***

واملنا ان تاتي اخواننا من تلامذة المدارس الثنوية بتونس عديدين ليمدوا هذا المشروع الجليل باعانتهم التي هو في احتياج اليها !

كما اننا نؤمل من مواطنينا الكرام مد يد المساعدة لاول مشروع جمع كافة افراد الشبيبة ووحد بين قلوبهم ومراميهم

وبهاته المناسبة نتقدم بجميل الشكر وخالص الثناء لكل من وضع ثقته فينا واعان الشباب على نجاح مساعيه .

عبد العزيز بن للونه
امين مال « الشبيبة »

المسامرات

قلنا ان الجمعية اخذت منذ تاسيسها في الحث على القاء المسامرات وذلك طبقا لما سن في قانونها الاساسي والغاية من ذلك قد بيناها والان فلننظر نظرة عامة في المواضيع التي القيت ولنذكر بشيء من التفصيل المسامرات التي قام بها الشباب التونسي بقاعة قدماء الصادقية. قلنا ايضا ان هذه المواضيع صنفان : المواضيع الادبية وما اشبه ذلك من تاريخ وفنون وفلسفة والمواضيع التي تتعلق بالاجتماع وقد بينا ما هي الغاية التي نرمي اليها في تتويج المحادثات .

اما المسامرون الذين تكلفوا بالقاء المحادثات فهم بصفة عامة تلامذة المدارس الثنوية المنخرطون في الجمعية وكان المجلس دائما يقدمهم عن غيرهم من المسامرين الخارجين عن المدارس وذلك تنشيطا لهم على خدمة اللغة والآداب وايضا ليكون الشباب عاملا في تثقيف نفسه بنفسه حتى تتكون له ملكة الالقاء والمحادثة . على اننا نرى انه من الخير ان يشرفنا كل من اخواننا الطلبة المسلمين بباريس واجل اساتذة المعاهد التونسية وأدبائها ببسط ارائهم السامية في المواضيع التي تهم الشبيبة التونسية من اي ناحية وتكسبها افكارا صالحة وتربية علمية فنية نحن في حاجة اليها خصوصا واننا لم تسبق لنا التجربة الكافية .

كنا بودنا ان ننشر جميع المسامرات التي استمعناها ولكن ذلك علينا من المستحيل حيث أن هذه البديهة تستدعي ما يقرب من العشرة اجزا من هذا المجلد ولكن اقتصرنا على نشر القليل منها وذكر البعض الآخر :

	المسامر	الموضوع	اللغة	تاريخ الالقاء
١	محمد صالح العنابي	نضرية برقسون في الضحك	افرنسية	جوان ١٩٣٢
٢	سعيد مبروك	اللغة العربية	عربية	» »
٣	الحبيب مبارك	التصوف	افرنسية	» »

	المسامر	الموضوع	اللغة	تاريخ الالقاء
٤	الدكتور احمد بن ميلاد	الطبيب الصقلي	عربية	جويلية ١٩٣٢
٥	علي البلهوان	ابن خلدون	«	جويلية «
٦	الاستاذ محمد علي العنابي	المدنية الاسلامية في نظر لوبز برتران	«	اوت «
٧	الاستاذ حسن الزمرلي	الشاعر ابن سعيد التونسي	«	سبتمبر «
٨	علي البلهوان	ابو فراس الحمداني	«	« «
٩	الطاهر الاخضر	اندري جيد والمرأة	افرنسية	١ نوفمبر «
١٠	عبد العزيز بن للونه	التربية والشبيبة	«	٧ « «
١١	الاستاذ عثمان الكعاك	الادب القرطجني	عربية	١٣ « «
١٢	الشيخ الشاذلي السنوسي	اطوار الادب التونسي	«	٢٠ « «
١٣	الاستاذ عثمان الكعاك	الادب البربري	«	٢٧ « «
١٤	الشيخ الشاذلي السنوسي	حياة غوط	«	٤ ديسمبر «
١٥	الاستاذ عثمان الكعاك	الآداب اللاتيني	«	١١ « «
١٦	الاستاذ عثمان لكعاك	الادب الاغلبي	«	١٨ « «
١٧	الشاذلي ناصر	منتانو	«	٨ جانفي ١٩٣٣
١٨	محمد الصالح العنابي	تربية التلميذ القومية	«	١٥ « «
١٩	الطيب سلمم	الفتاة والشبيبة	«	٢٣ « «
٢٠	قصي المكي	تذكار جاوا	افرنسية	١٢ فيفري «
٢١	علي بن سالم	الفن والشبيبة	«	١٩ « «
٢٢	الشيخ الشاذلي النيفر	الفترة بين الدولتين الحفصية والحسينية	عربية	١٢ مارس «

	المسامر	الموضوع	اللغة	تاريخ الالقاء
٢٣	الاستاذ حسن الزمرلي	الدولة الحفصية	«	١٩ « «
٢٤	عثمان منسية	ابو الطيب المتنبي	«	٢٦ « «
٢٥	محمد القليبي	اراء في اللغة العربية	«	١٢ افريل «
٢٦	الحبيب فرحات	نفسية الحلم	افرنسية	٢٣ « «
٢٧	محمود المسعدي	دين الانسانية	«	١٤ ماي «
٢٨	حاتم المكي	نفسية فن التصوير	«	٢١ « «
٢٩	محمد بكير	عمرو بن ربيعة	عربية	٢٨ « «
٣٠	محمد دواس	الغرائز	«	٤ جوان «
٣١	عبد الوهاب بكير	الحياة الفنية او عالم الحرية	«	١٨ جويلية «
٣٢	علي البلهوان	ابن خفاجة الاندلسي	«	٢٥ « «
٣٣	علي بن سالم	اراء في الجمال والحقيقة	افرنسية	٨ اوت «
٣٤	الصادق المقدم	رحلتي الى المغرب	عربية	٢٩ اكتوبر «
٣٥	الباهي الادغم	حياة الفنون الاسلامية وتطورها	«	٥ نوفمبر «

ولو تامل القاري من هذه المواضيع على اختلاف انواعها لعرف قيمة الجهود التي بذلت في تثقيف الشباب وامناحه لا تربية ادبية وملكة نسبية في الانتقاد فقط بل كذلك تجربة معتبرة في امور الاجتماع والتاريخ والفنون واول من فتح السنة بمسامرة في الادب الاستاذ الطاهر الاخضر موضوعها اندري جيد والمراة . فانى حضرته باراء مقنعة في تطور طبيعة جيد ونفسيته وتربيته والوسط الذي عاش فيه واستند على ذلك كله وعلى بعض ما في مؤلفات الكاتب من حقائق لاقامة الدليل على انه من الغلط ان يزعم ان جيد لم يهتم بالمراة ابدا في كتبه وذلك لاعتباره

اياهـا خلقا دنيا لا ينبغي ان يدرسـه الكاتب سائـرا في ذلك على منوال مفكري اليونان القدماء

ومن هذا القبيل مسامرة الاخ الحازم سيدي الشاذلي ثامر في « منتانو » لم يقتصر فيها المسامر على ذكر حياة الكتابة الشهير بل بحث في افكاره وبين ما ابتكره كاتبنا من طرق جديدة في التفكير والكتابة من حرية وتحكيم عقل ورصانة وفقد حساس وارتياح للموت . اثرت كلها في الوسط الفرنسي وكانت من اسباب النهضة الادبية في القرن السابع عشر

ومن المسامرات القيمة التي القيت في الآداب العربية مسامرتان : « ابو الطيب المتنبي » – « عمرو بن ربيعة » – الاولى القاها الاديب الاخ عثمان منسية والثانية النجيب الاخ محمد بكير ذكرناهما معا لان اسلوبهما في درسهما للكاتبين واحد على نظرنا ذلك انهما لم يسلكا طريق من سلف في البحث والحكم على قيمة الشعـراء كما يلاحظه القاريء عند قراءته للمسامرتين المنشورتين في هذه النشرية

ونخص بالذكر مسامرة القاها الادب الفنان الاخ علي البلهوان الطالب في الآداب في « ابن خفاجة الاندلسي » وشعره

ولم تسمح لنا الظروف نشر هذه المسامرة لان المسامر القى الاكثر منها ارتجالا ابتدا بترجمة ابن خفاجة واطال البحث خصوصا في الدواعي التي اوجـدت في نفسه الشاعرية والظروف التي ترعرعت وتطورت فيها نفسية الشاعر اعني مسقط رأسـه بين نهرين ورياض ببلاد الاندلس اليانعة تحت جو صاف ملؤه الاطيار المترنمـة . ثم امعن النظر في روح شعره واراد ان يحلل ما اختص به هذا الشعر فوجد كنوزا – لو امكننا ان نعبر كذلك – ادبية فنية ليس لها مثال في الآداب من رقة في الاحساس . لا تملك الرقة المشهورة عند الشعراء بل رقة تشبه اقصى ما بلغه الشعراء الاجانب المشهورون الآن باروبا . وهذا الاحساس الحقيقي الذي يظهر في شعر ابن خفاجة لا يشبه في شيء ما يوجد من التصنع والغرابة في شعر بعض معاصريـه . وخاصية هذا الشاعر كما بينه الاخ البلهوان هو انه اتى في القرون الوسطى بافكار ونفسية تشبه وربما تفوق ما خص به شعر شعراء القرن التاسع عشر .

ومن المسامرات التي وقع عليها اقبال عظيم سلسلة الاستاذ عثمان الكعاك في تاريخ تونس وصل فيها الى اخر الدولة الحفصية ومسامرة للاستاذ الشاذلي النيفر موضوعها الفترة بين الدولتين الحفصية والحسينية ومسامرة في الدولة الحفصية للاستاذ الاديب سيدي حسن الازمرلي ونود ان تتكاثر المسامرات التي من هذا القبيل وذلك مقاومة للجهل الحائط بنا من حيث معرفة تاريخ الوطن العزيز كما يجب ان نذكر من المسامرات الاعتراضية مسامرة للاخ الحازم العامل محمد الصالح العنابي موضوعها تربية التلميذ القومية. يرى المسامر ان الاحساس الوطني عند الطفل الصغير امر متحتم كما هو لزومي عند غيره وهذا شيء بشري لا يختلف فيه اثنان . ومن الواجب علينا ان نوجده محافظة لجنسيتنا وقوميتنا ولغتنا وذلك لفقد التعليم القومي الموجود في كافة مدارس الاجانب. وما هي واجبات الشاب نحو وطنه ؟ ان يعمل بكل ما لديه من الجهد في تثقيف نفسه والتحصيل على النتائج الحسنة بالمدارس ويجب ان نحجر عليه الانخراط في الاحزاب السياسية التي تضيع له وقته وربما تقضي على مستقبلة اللهم ان اتم على الاقل تعليمه الثنوي .

وطرقت بالقاعة ايضا عدة مواضيع فلسفية « نفسية الحلم » « والحياة الفنية او عالم الحرية » ابهرت الالباب بدقتها ولا نبحث فيها لاتساع النظريات الموجودة بها

وفي الختام نخص بالشكر الحكيم احمد بن ميلاد والاستاذ محمد علي العنابي والاستاذ عثمان الكعاك والاستاذ الطاهر الاخضر واخواننا الطلبة السادة علي البلهوان وحسن الازمرلي وعبد الوهاب بكير الذين افادوا الجميع بمسامراتهم القيمة وبسط ارائهم السامية في المواضيع الجديرة بالاهتمام الامر الذي جعلهم قدوة لاعمال الشباب التونسي الحازم الذي اخذ ينسج على منوالهم ويسلك طريقهم في الحصول على غايته المنشودة

الباهي الادغم

عمر بن ابي ربيعة

— محمد بن بكير —

اتذكر ان استاذي في اللغة العربية قال لي في ما ان للسلطان السياسي تاثيرا قويا على الحياة الادبية . وان الآداب الاسلامية مثلا تطورت حسب تطورات السلطان الاسلامي . وقد تبين لي جليا صحة قوله لما اردت ان اقوم بهاته المحاضرة . فاني رايت ان الغزل الذي برع فيه عمر بن ابي ربيعة كان نتيجة السياسة الاموية . (لا اعني بكلمة الغزل الغزل الجاهلي الذي لم يكن يقصد لنفسه وانما كان الشاعر ياتي به في غالب الاحيان ليتخلص به الى وصف الاطلال والدمن او الى وصف دابته او غير ذلك ، وانما اعني الغزل الحقيقي المحض الذي لا يخالطه ضرب آخر من الشعر والذي ما كان يقصد منه الا التغزل والتشبيب بالنساء لا غير) .

لما تحولت الخلافة الاسلامية بيد الامويين واستقرت دعائم سلطانهم كانت نتيجة سياستهم ان انقسمت البلاد الاسلامية الى اقسام منها الحجاز واخص فيه مكة والمدينة حيث كان انصار عبد الله بن الزبير . وكان الامويون يسيئون الظن بسكان تينك المدينتين ويوجسون منهم خيفة على سلطانهم وارادوا ان يمنعوهم من الاشتغال بالسياسة حتى يستقر لهم الامر فاقصوهم عنها كل الاقصاء .

فما كانت نتيجة تلك المعاملة ؟

قبل ان نصرح بهاته النتيجة ننظر نظرة اجمالية في حالة سكان مكة والمدينة في ذلك الوقت .

كان غالبهم من ابناء الصحابة والمهاجرين والانصار وقد ترك لهم اباؤهم مخلفا عظيما من الاموال الباهرة التي ربحوها من التجارة التي كانوا يتعاطونها منذ قرون او اغتنموها من الحروب الدينية الاسلامية . فقد كانوا مثريين غاية الثراء .

اضف الى ذلك ما بعثه فيهم خروج السلطان من بلادهم وسياسة الامويين من الياس والتحسر والحزن خصوصا وقد كانت بلادهم مهد الاسلام ومنبع قوته وانتشاره . فاخمد الياس والحزن عزائمهم حتى ترك اكثرهم الاعمال والصناعات .

وماذا عسى ان يفعل الرجل اذا كان طول نهاره في فراغ . وكان مع ذلك مثريا ؟ اظن انه يلجا الى قضاء وقته في تعاطي اللهو وفي الاسراف فيه !

هكذا فعل المثريون من الحجازيين فانهم انغمسوا في الملذات والترف ليتسلوا مما اصابهم به الدهر . وربما دخل ايمانهم شيء من الضعف واستباحوا بعض ما حرمه الله . فمن ذلك انهم تعرضوا للنساء وربطو حياتهم بحيانهن واكثروا من معاشرتهن ومجالستهن . وكانوا يتتبعون ربات الخجال ويستعطفونهن ويصغون جمالهن ويشببون بهن في الاشعار فنشا هكذا الشعر الغزلي او النسيب وتعدد الغزليون وكثرت اشعارهم في زمن الدولة الاموية .

ونحن لا نتكلم اليوم عن هؤلاء الغزليين كلهم بل نقول بعض كلمات في فرد منهم قد اجمع غالب الادباء على انه امام الغزليين في زمن الامويين بل على انه امام الغزليين في العروبة باسرها وذلك الفرد هو عمر بن ابي ربيعة .

اسرة عمر ونشاته

ولد عمر بن ابي ربيعة في اسرة قرشية عريقة في المجد والعروبة ومثرية جدا وكان ابوه عبد الله بن ابي ربيعة من سراة قريش واغنيائها واذكيائها . قد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان على الجند ومخاليفها . وكان له كثير من العبيد حتى ان بعض المسلمين عرض على النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد الخروج الى بعض غزواته ان يستعين برقيق عبد الله بن ابي ربيعة .

نشا عمر بن ابي ربيعة في ذلك الوسط المترف المنغمس في الملاهي الذي تحدثنا عنه . متمتع بثروة ابائه وعاش في الرفاهية والترف وربي بين البنات وقضي اوقاته في مجالسة ربات الخجال ومعاشرة الحور الحسان . فكان تاثير ملازمة النساء عليه ان قوت شاعريته وحدتها ورققت عواطفه ولينتها . وصار عمر يانس بهن ويجد لذة في وصفهن والتغني بهن حتى اصبح كلما راى امراة جميلة تعلق غرضه بالتشبيب بها . فيقول فيها الشعر . وما كان عمر ينتظر الوقت الذي يتيح له الدهر فيه بامراة يشبب بها بل كان يتتبع النساء ويسعى في الاطلاع على محاسنهن وربما كان يشبب

بامراة لمجرد ما يسمع احدا يتحدث عن جمالها ومن غير ان يراها فمن ذلك ان ابن عتيق ذكر زينب ابنة عمه عند عمر فاطراها ووصف من عقلها وادبها وجمالها ما شغل قلب عمر واماله اليها فقال يشبب بها

يا خليلي من ملام دعاني ... والما الغداة بالاضعان
لا تلو ما في اهل زينب ان الـ ... ـتلب رهن بآل زينب عاني
وهي اهل الصفاء والود مني ... واليها الهوى فلا تعذ لاني
لم تدع للنساء عندي نصيبا ... غير ما كنت مازحا بلساني . . . الخ

فلما بلغ ذلك ابن ابي عتيق لام عمر وقال له : اتنطق الشعر في ابنة عمي ؟ فما زاد ذلك اللوم عمر الا ولوعا بزينب وبالتشبيب بها فقال :

انني اليوم عادني احزاني ... وتذكرت ميعتي في زماني
وتذكرت ظبية ام رئم ... صدع القلب ذكرها فشجاني
لا تلمني عتيق حسبي الذي بي ... ان في يا عتيق ما قد كفاني
ان بي داخلا من الحب قد ابـ ... ـلى عظامي مكنونه وبراني . . . الخ

ومن الاسباب التي بعثت عمر على قول الشعر هو انه ولد في زمن اضطرام نيران الحرب بين المسلمين واعدائهم من الكفار ولكنه ما شارك في تلك الحروب لانه لما بلغ عنفوان شبابه كانت الحرب قد وضعت اوزارها . وبما انه لم يتمكن من بذل قواه وشبابه في الجهاد فانه صرفهما كلهما في قول الشعر

تتبع عمر للنساء وعواطفه نحوهن

قد سبق لنا ان عمر كان يتتبع النساء ويسعى في رؤيتهن . قد كان يفعل ذلك خصوصا في زمن الحج . فما كان ابن ابي ربيعة يعتبر موسم الحج الا « معرضا اسلاميا للجمال » ينتصب هو قاضيا فيه فيتبين النساء ويصف محاسن كل واحدة منهن . فانه كان كلما قرب موسم الحج اعتمر في ذي القعدة ولبس افخر ملابسه وتزيا باحسن زي ثم خرج الى لقاء الحجيج فتعرض لهم في طريق المدينة والشام والعراق فاذا مروا به لاصقهم وتبين هوادجهم وتحدث مع نسائهم واخذ عليهن

المواعيد ليجتمع بهن في مكة - وكان ايضا يترصد النساء حين يخرجن ليلا ليطفن بالبيت . فهنالك تقع الملاقاة والمحادثات الغرامية ولا يزال عمر هكذا الى ان يتم موسم الحج ويشد الحجيج اكوارهم ليرجعوا الى بلادهم . فياخذ عمر يشيع الفريق بعد الاخر . وكان له في كل فريق امراة يشبب بها ويقول فيها الشعر الجيد ويشهر بها . وقد كان يشبب باشهر نساء العرب واشرفهن من قريش وغيرها ويذكر اسماءهن الا فاطمة بنت عبد الملك فانه لم يسمها خوفا من بطش ابيها وسطوة الحجاج . والذي يبعثه على هاته الجرائة في تغزله بشريفات العرب هو انه كان شريف النسب وذاجاه قوي بين العرب من جهة . ومن جهة اخرى انه كان يجد مساعدة وحماية من طرف اشراف قريش نفسهم لانهم كانوا يجدون لذة وغبطة في حماية عمر حيث كان ينظم لهم اشعارا رقيقة يتغنون بها وتلهيهم وتطربهم .

شبب عمر بفاطمة بنت محمد بن الاشعث عند رجوعها من الحج فقال فيها قصيدته التي اولها :

قال الخليط غدا تصدعنا او شيعه افلا تشيعنا . . .

وقال في عائشة بنت طلحة لما ارادت ان تنصرف من الحج الى المدينة قصيدته التي تبدا بهذا البيت :

ان من تهوى مع الفجر ظعن الهوى والقلب متباع الوطن . . . .

ولقد كان عمر يقول لكل امراة يشبب بها مثل ما قال لفاطمة ولعائشة . يقول في واحدة :

ما خنت عهدك يا عثيم ولاهفا قلبي الى وصل غيرك فاعلمي

ثم يدعي ان اخرى ملكت كل فؤاده فيقول :

لم تدع للنساء نصيبا غير ما قلت مازحا بلساني

او

لم يحب القلب شيئا مثل حبكم ولم تر العين بعدكم حسنا

واذا اخذت اخرى تلومه على عدم وفائه قال لها :

ليس حب فوق ما احببتكم غير ان اقتل نفسي او اجن

وهو في بعض الاحيان لا يخشى ان يقسم بالله على صدق حبه فيقول :

والله ما احببت حبكم لا ثيبا خلت ولا بكرا

وهذا يبين لنا ان عمر بن ابي ربيعة لم يكن له حب حقيقي . وانه ما افتتن ابدا بامراة واحدة معينه سلبت قلبه واشغلته عن سائر النساء فنستنتج من هذا كله ان عمر كان يعشق الجمال بصفة عامة . وان للجمال على نفس عمر قوة جذابة . فكلما راى امراة جميلة هاجت عواطفه وتحركت شاعريته واولع بها واخذ يتغزل . ولكن اذا ذهبت تلك المراة واتت ثانية قال فيها مثل ما قال في الاولى . ويقول في الثالثة ما قاله في السابقتين وزيادة . هكذا كل يوم . فلو قرات شعر عمر من اوله الى آخره ما وجدت فيه آثار النفس التي آذاها الهوى واستولت عليها الصبابة ولا تجد في تشكياته شجون العاشق الولهان الذي المه البين وبعد الحبيب . بل تراه يتأوه ويأسف للفراق ما دامت حبيبته امامه . فاذا بعدت عنه لا يلبث ان ينساها ويتسلى عنها بحبيبة اخرى . وما عسى ان يحمله على التشكي من البين . فانه لا يفارق امراة الا ليذهب لملاقاة اخرى . وما « روعه نذير بالفراق الا وبشره بشير بالتلاق »

وفي الاختصار فان عمر لم يخضع لسلطان الهوى ولم تذل نفسه للحب . وانما هو كان يتلاعب لا غير في عشقه وغرامه . وكان ينتقل من امراة الى اخرى كما ينتقل الانسان على مائدته من طعام الى آخر . وقد تنحصر عواطفه نحو النسوة في هذا البيت :

سلام عليها ما احبت سلامنا فان كرهته فالسلام على الاخرى

روح الشاعر وطبيعته

ونستنتج ايضا من الابيات السابقة ان شاعرنا كان رجلا يحب الحياة اللذيذة ويريد ان يعيش عيشة مترفة حتى ينتفع بما انعمت به عليه الدنيا من الجمال والثروة ويغتنم الفرصة التي اتاح له الدهر بها . ولا يشغل فكره بما سيقع وبما عسى ان يحدث . ولو طالعت شعره كله ما وجدت فيه ولو بيتا واحدا يحتوي على حكمة

تعظك او تحذرك من عواقب الدهر او غير ذلك من المعاني الجدية . ولكن تجد فيه كثيرا من الحكم الغرامية من هذا النمط :

يخبرني ان المحـرش كـاذب ومن يطع الواشين وزعم من زعم
يصرم بظلـم حبلـه من خليلـه وشيكا ويجذم قوة الحبل ما جـذم

وما كان يكتفي عمر بان يعيش هو ذلك العيش بل كان ينصـح لمن احظتهم الدنيا مثله ان يتمتعوا بجمالهم وثروتهم .

كلمة في الشعر

اضرب التغزل عند عمر ومميـزات شعره

الان لما تكلمنا عن الشاعر نفسه فلنقل كلمة في شعره واضرب الغزل فيه، ولننظر ما هي مميزاته .

ذكرنا ان عمر بن ابي ربيعة ربي بين النساء . فامكنه ان يطلع على جميع اخلاقهن ونفسيتهن وكيفية حياتهن . وصار على علم دقيق من شعورهن واحساساتهن واذا وصف لنا عمر المراة احسن وصفها من حيث الجمال الظـاهري ثم ينتقل من ذلك الى ذكر ما يجول في خاطرها من العواطف الرقيقة كاللوم والعتاب للحبيب الخائن والتشوق الى رؤية المعشوق الهاجر والمخافة من انكشاف امرها اذا اجتمعت بمن يحبه قلبها .

يبرهن ابن ابي ربيعة على براعة تامة في وصف المراة ويظهر لنـا انه قد عاشر النساء طويلا حتى علم ما هي اوصاف المراة العربية الجميلة وما هي عواطفها وشهواتها من الوجهة الغرامية . ولا يخلو وصفه للنساء من الشعور الرقيق . ويدل على ان للواصف حواسا حادة تلاحظ كل اعضاء المراة وادنى حركاتها وابتساماتها فيصورها لنا تصويرا جليا رائقا في تعبير تستخفنا سلاسته طربا . وبالفاظ منتخبة تستهزنا عذوبتها غبطة .

وقد كان عمر يستعمل براعته في وصف المراة حيلة ليستميلها ويستعطفها نحوه اذا لم يكفه جماله وماله لذلك . فكان يمدح لها مميزاتها حتى يستولي على عواطفها

ومجامع قلبها ، وكلكم تعلمون ان الغواني « يغرهن الثناء » ، فما سمعت امراة وصفه الا وودت ان تكون هي السبب في ذلك الوصف والغرض الذي قصده عمر ، خصوصا وقد يعلم هذا الشاعر ما الذي تـود المراة ان توصف به ، فيزيدها وصفه واطراؤه تيها واعجابا بشبابها وجمالها.

فلننظر كيف كان عمر يصف المراة .

كان يعلم ان المراة الجميلة تفتخر بنعومة خدها وسعة عينيها وبياض ثغرها فيقول

صريع هوى نـاءت به شاهقية ... هضيم الحشا حسانة المتحسر
تطوف الوف للجمال غريرة ... وثيرة ما تحت اعتقاد المؤزر
سبته بوصف في العقاص مرجل ... اثيث كقنو النخلة المتكور
وخد اسيل كالوذيلة ناعم ... متى يره راء يهل ويسحر
وعيني مهاة في الخميلة مطفل ... مكحلة تبغي مرادا الجؤذر
وتبسم عن غر شتيت نباتـه ... له اشـر كالاقحوان المنـور

ولكن المرأة كانت مع ذلك تفتخر بثقل ارداقها فقال عمر :

وظلت تهادي ثم تمشي تـأودا ... وتشكو مرارا من قوائمها فترا

وقال :

اذا ما دعت بالمرط كيمـا تلفـه ... على الخصر ابدت من روادفها فخرا

وقال :

طفلة وعثـة الروادف خور ... كمهاة انساب عنهـا الصـوار

وقد لاحظ عمر المرأة حتى في مشيتها الثقيلة وبخترتها البطيئة فقال فيها :

اذا ما مشت بين اترابهـا ... كمثل الاراخ يطأن الوحـل
كأن سوابـل مصيوفـة ... اقام بها كـل وحش همل

ثم بعد ان يصف لنا عمر المرأة ذلك الوصف الدقيق الرائق يذكـر ان تلك المرأة الجميلة التي وصفها لم تعجب بجمالها لما اتاها ولم تحتقره ولكنها بكت من حبها له ودعته لزيارتها واقسمت عليه ان يأتيها ؟

قالت ودمع العين يجري واكفا ... كالدر يسبل مرة ويغـور

بالله زرنا ان اردت وصالنا واحذر اناسا كلهم مامور
ان ياخذوك فكن فتى ذا فطنة ان الكريم لدى الحذار صبور

والحاصل ان عمر كان بارعا في وصف الجنس اللطيف ، وصفا يحرك جوارح الانسان وعواطفه ويغري المراة حتى يوقعها في شراكه .

وقد نجد في شعر عمر ضربا آخر دون وصف المراة وهو مخاطبة النساء. فانه كان فصيح اللسان لطيف المحادثة حلو الكلام مع الغواني التي يروقها الحوار الممتع والحديث المزخرف . خصوصا اذا كان الشاعر يشعشع حديثه بشيء من الصبابة والهيام فان ذلك يسحر الحسان لانهن ضعيفات القلوب رقيقات الاكباد — وحيث ان التاثير في هذا الضرب عن الغزل يكون من الاسلوب فلنقل كلمة في اسلوب عمر

اخترع عمر اسلوبا خاصا به خاليا من الغموض والتعقيد الذي نجده في كثير من تراكيب المعلقات . فانه قد امتاز بالتعبير السهل العذب وبالتراكيب البينة السلسة واجتناب الالفاظ الغريبة . وكانت جميع الفاظه منتخبة انتخابا جيدا تؤدي المعنى المقصود حق اداء ولا تأتي الا في موضعها . اراد عمر مثلا ان يخبر بشدة حبه لحبيبته ، فقال :

خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

ولا يخفاكم ما في هذا البيت من التورية. فقد استعمل الشاعر لفظة القتل في معناها الحقيقي وفي معناها المجازي . واتى بلفظة القتل ليدل على ان حبه بلغ الى نهايته حتى كاد يقتله . ثم قال انه يبكي من حب حبيبته ليعلمنا ان صبابته لم تقف الى حد بل ما زالت تتزائد شيئا فشيئا وتقوي شجونه .

واراد عمر مرة اخرى ان يخبرنا بشدة حبه ايضا فقال :

رب قد شغفني (الحب) واوهن عظمي وبراني وزادني فوق جهدي

فقد يصور لنا هذا البيت عمر وهو قد شغف الحب قلبه حتى اشغله عن كل ما عدا حبيبته . ثم اله واثر فيه حتى اوهنه واخمد قواه وهد عزائمه وما زال به حتى تركه « الجلد على العظم » كما يقال . وحمله ما لا طاقة له به . ولا نستنتج كل هذه المعاني الا من حسن انتخاب عمر للالفاظ .

فلغة عمر بن ابي ربيعة هي اللغة التي تؤثر عليك التاثير البليغ وتحير عواطفك وتحرك احساسك ولو كان جامدا . وبعبارة اخرى هي اللغة التي تسحر لبك وتفتن قلبك كما يقع لك عند سماع الغناء الموسيقي الجميل لانك قد تجد حقيقة في شعره ابياتا كثيرة في قراءتها رنة موسيقية ونغمة غنائية بديعة .

وها انا اقرأ لكم بعض ابيات تريكم في اي اسلوب كان عمر يخاطب المرأة اراد ان يذكر لمحبوبته عشقه لها وشدة تاثيرها عليه فقال لها :

يفرح القلب ان رآك وتستعـــبر عيني اذا اردت احتمالا
ولئن كان ينفع القرب مـا از داد فيمـا اراك الا خبـالا
غير اني مـا دمت جالسة عنـــدي سألهو ما لم تريدي زوالا
فاذا مـا انصرفت لم ار للعيـــش التذاذا ولا لشيء جمالا
انت الهوى ورؤيتـك الخلـــد وكنت الحديث والاشغـالا
حلت دون الفؤاد والتذك القلـــب وخلى لك النساء الوصـالا
وتخلقـت لي خلائـق اعطـتـــك قيادي فما ملكت احتمالا

ثم يخاطب من اتاه بشي بتلك المحبوبه ليعلمه انه اضاع وقته وكلامه بلا نفع فيقول له :

ايها العاذلي اقل عتابي لم اطع في وصالها العذالا
ان ما قلت والذي عبت منها لم يزدها في العين الاجلالا
لا تعبها فلن أطيعك فيها لم اجد للوشاة فيها مقالا

وبعد ذلك يرجع الى مخاطبة الحبيبة ليستعطفها فيسالها :

فيم بالله تقتلين محبـا لك بالوصل مخلصا بـذالا

ثم يزيد في التذلل امامها فيقول :

ولعمري لئن هممت بقتـلي لبما قد قتلت قبلي الرجـالا
حدثيني عن هجركم ووصالي احـرامـا ترينـه ام حـلالا
فاحكمي بيننا وقولي بعدل هل جزاء المحب الا الوصالا
ليتنى مت يوم الثـم فاهـا اذ خشينا في منظـر اهوالا

اذا تمنيت انني لك بعـل قلت بل ليتني بخدك خالا

وقد تريكم هذه القصيدة عذوبة كلام عمر في مخاطبة النساء وبراعته في هذا النوع من الغزل .

ولكن الضرب الغزلي الذي ابدع فيه عمر كل الابداع هو الضرب الغزلي الذي اخترعه بنفسه ولم يسبقه اليه احد وهو الغزل القصصي ميزة شعر ابن ابي ربيعة

يحكي لنا عمر في هذا الضرب ملاقته مع حبيبته و نذكر لنا كل ما دار بينهما من الحديث وكيف قضيا ليلهما ولا يخشى ان يذكر لنا كل ما فعلاه فتراه يقول تارة

ومقاما قد قمتـه مـع نعـم وحديثا مثـل الجنى المشتـار
تتقي العين تحت عين سجوم وبلها في دجى الدجنة ساري
واكتننا بردين من جيد العصـ ـب معا بين مطرف وشعـار
بت في نعمة وبات وسـادي معصما بين دملج وسـوار

واخرى :

فلما التقينا واطمانت بنـا النوى وغيب عنا من نخاف ونشفـق
اخذت بكفي كفها فوضعتها على كبد من خشية البين يخفق

ويذكر لنا ايضا ما عرض لهما من الحوادث وكيف كانا يحتالان في ستر امرهما فتارة تراه يمحو اثارهما من الارض حتى لا يطلع على امرهما احد ويقول :

فنهضنا نمشي نعفي برودا ومروطا وهنا على الاثار

وتارة ترى حبيبته تلبسه زي امراة وتقطـع به الحي لانه لما زارها ليلا ابطا عندها حتى استيقظ اهلها — وتكون هكذا حكاية عمر قصة غرامية بديعة يستلـذ الانسان مطالعتها

نعم يحكي لنا عمر في كثير من اشعاره ما وقع له مع عدة نساء من الحوادث الغرامية وكيف كان يلتقي بهن ليلا وينال بهن ماربه ولكن هل فعل عمر كل ما ذكره في شعره ام لم يفعل منه شيئا ام فعل البعض فقط ؟

كان عمر شابا حسن الخلقه خفيف النفس حلو المحادثة والحوار فصيح اللسان وكان مثريا . وقد نشا في وسط منكب على الترف واللهو . يميل نساؤه الى الحوادث

الغرامية والى معاشرة الشعراء فهل يتصور العقل ان ذلك الشاعر الشاب الجميل الغنى عاش زاهدا في ذلك الوسط المنهمك في الملذات مبتعدا عن المحرمات وخصوصا عن معاشرة ربات الخدور ؟

لا . ان ذلك مما لا يقبله العقل وربما يقول لي احدكم انه توجد رواية يزعم فيها ان عمر اقسم الايمان المحرجة بانه ما اقدم في حياته على حرام — جوابي هنا انه توجد رواية اخرى يزعم فيها الراوي ان سائلا سال عمرا : اكل ما قلته فعلته ؟ فاجابه نعم واستغفر الله . ولكن هنا ايضا يجب علينا ان نتحرى . لا يمكن التصديق بان عمر فعل كلما قاله في شعره ونجح في كل مساعيه الغرامية بل هو كان ينجح تارة ويخيب اخرى كما هي عادة من يتتبع النساء هذا من جهة واما من جهة اخرى فان كل شاعر كذاب اي اذا تغلبت عليه مخيلته وتحركت شاعريته قال ما لم يفعل وحكي حوادث لم تقع الا في خياله . ويتاخر عن العبث اذا راق له ذلك . وقد ذكر لنا صاحب الاغاني البعض من خيباته والبعض من الوقائع التي سخرت فيها النساء من عمر ولكنه لم تؤثر عليه الوقائع ولم ييأس من تتبع النساء لانه كان يعول على ماله وكانت له معرفة جيدة بالحيل التي يغري بها النساء ويستميل بها قلوبهن .

والآن اظن اني بينت البعض من مميزات شعر عمر وغزله ولكني اعترف باني لم ابين الا القليل منها لان غزل عمر بن ابي ربيعة له خصائص ودقائق يصعب او يطول حصرها في الكلام . ولكن يشعر بها القاري عندما يطالع البعض من قصائده

محمد بن بكير
تلميذ بالصادقية

ابو الطيب المتنبي

— عثمان منسيه —

سادتي الاعزاء اخواني النجباء !

اني اتشرف بالمثول امامكم اليوم لاكلمكم على شاعر ذكره عم الاقطار والامصار ودار على الارض دوران الليل والنهار الا وهو المتنبي ذلك الشاعر العظيم الذى ملك رقاب القوافي واتى برقيق الشعر ورائق الابتكار مما جعل كل الناس تعترف له بالفضل وبالسبق في ميدان القوافي ولا ارى من الفائدة حيث ان ذلك اشهر من ان يذكر ان اقول لكم ان ابا الطيب المتنبي شغل افكار جميع الادباء من معاصريه ومن الذين اتوا بعده حتى الفت الكتب العديدة فيه وفي شرح ديوانه . فتفرقت الناس فرقا في مدحه والتعصب اليه او القدح فيه والنظم عنه . فمنهم من يفضله على ابي تمام والبحتري . ومنهم من يفضلهما عليه وذلك اقوى دليل على وفور فضله وتفرده عن اهل زمانه .

وقبل ان اكلمكم على شعر المتنبي يجدر بي ان اكلمكم على حياته .

حياة المتنبي

هو ابو الطيب احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الكندي كان ابوه سقاء بالكوفة يستسقي على جمله لاهل محلة فيها اسمها كندة فولد المتنبي في تلك المحلة فعرف بالكندي نسبة اليها . وما ترعرع شاعرنا حتى ظهر محبا للعلم . فكان يكثر مجالسة العلماء وملازمة مكاتب الوراقين . فيقرا ما يقع تحت يده من كتبهم ولا يلبث ان يحفظه لما وهبه الله من قوة الذاكرة وشدة الرغبة في التادب . وراى ابوه استعداداته الطبيعية . فلم يقف عثرة في سبيل ذلك بل ساعده . فحمله الى بلاد الشام باديتها وحاضرتها . فجالس الكثيرين من علماء زمانه في الادب واللغة كابن السراج والاخفش وابن دريد وابي علي الفارسى

يقول الثعالبي صاحب يتيمة الدهر ان ابا الطيب عند ما ترعرع وبرع في الشعر بلغ من كبر نفسه وبعد همته ان ادعى النبوة ودعى الناس الى تصديق بعثته . فخرج الى بادية السماوة يتلو على الاعراب كلاما منمقا زعم انه قرآن انزل عليه . وقد ذكر ابو علي ابن حامد انه نسخ سورة من هذا القرآن ثم ضاعت وبقي اولها في حفظه وهو « والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافرين لفي اخطار امضي على سنتك واقف اثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من الحد في دينه وضل عن سبيله » فتبعه بعض الاعراب . فبلغ خبره الى والي المكان فسجنه ثم استتابه فتاب فاطلقه . ويروى البعض ان ابا الطيب سجن لا لانه ادعى النبوة ولكنه لكثرة ميله الى السيادة وطموحه الى العلو دعا الناس الى بيعته . والراي الاخير هو على ما ارى الحقيقة عينها حيث لم يتبين لنا قط في شعر ابي الطيب ادعاءه النبوة . ولو كان صرح بذلك في بيت من ديوانه لاخذه حاسدوه ومنافسوه حجة عليه ولنقلوه الينا مع اننا نرى ونستنتج من قصائده تعطشه الكبير الى السيادة ونهمه الزائد في الفتح والاستيلاء لانه كان يانس من نفسه مقدرة على تدبير الامور لا تقصر عن مقدره من كان يفوز بالسيادة والملك في ذلك العصر فرأى من حقه ان يدعي السيادة فدعا الناس الى بيعته فزج في السجن ولكن الحاسدين له على ما اعطاه الله من سحر في البيان مع كونه حقير المنشأ توقعوا فيه الشاعر الذي تكون بالنسبة الى شمسه الزاهرة اضواؤهم ضئيلة جدا نسبوا اليه التنبأ بقصد النكالة به والتنقيص من قدره عند من حضي شاعرنا عندهم .

اسفاره وتنقلاته

حبه الجم للسيادة حمله على الذهاب الى الامراء والملوك ومدحهم بالقصائد الغرة طمعا في ان يحصل بقصائده على امارة او ولاية فذهب يمدح ابا العشائر الحمداني وبواسطته اتصل بسيف الدولة وقال فيه القصائد الرنانة التي اذاعت له سيطا وخلدت له اسما لا تمحوهما القرون والاحقاب فكان جملة ما قاله ابو الطيب في سيف الدولة يعادل ثلث شعره فاحاطته الشعراء بالحسد ورموه بكل وشاية شان الحياة البلاطية بذلك العصر

فكان له معهم ومع الملك حوادث عديدة جرحت كبرياءه ونغصت عليه عيشه ومن الحوادث التي وقعت للمتنبي في بلاط سيف الدولة ما جاء في الصبح المنبي عن ابن الدهان ان ابا فراس الحمداني شاعر بني حمدان وابن عم سيف الدولة قال له ان هذا المتشدق يعني المتنبي كثير الادلال عليك وانت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن ان تفرق مائتي دينار على عشرين شاعرا ياتون بما هو خير من شعره فتاثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه وكان المتنبي غائبا فبلغته القصة ولما حضر دخل على سيف الدولة وانشده ابياتا فاطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته وحضر ابو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا في الوضيعة في حق المتنبي وانقطع ابو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي اولها « واحر قلباه ممن قلبه... »

ثم جاء وانشدها وجعل يتظلم فيها من التقصير في حقه بقوله

مالي اكتم حبا قد برى جسدي ... وتدعي حب سيف الدولة الامم

الى ان قال :

قد زرته وسيوف الهند مغمدة ... وقد نظرت اليه والسيوف دم

فهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة لشدة ادلاله واعراض سيف الدولة عنه فلما وصل في انشاده الى قوله :

يأعدل الناس الا في معاملتي ... فيك الخصام وانت الخصم والحكم

قال له ابو فراس لقد مسخت قول دعبل

ولست ارجو انتصافا منك ما ذرفت ... عيني دموعا وانت الخصم والحكم

فقال المتنبي :

اعيذها نظرات منك صادقة ... ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فعلم ابو فراس انه يعنيه فقال ومن انت يا دعي كندة حتى تاخذ اعراض الامير في مجلسه فاستمر المتنبي في انشاده ولم يرد عليه الى ان قال

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا ... بأنني خير من تسعى به قدم

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي ... واسمعت كلماتي من به صمم

فزاد ذلك ابا فراس غيظا وقال قد سرقت هذا من عمر بن عروة ابن العبد حيث يقول

اوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت دهـرا واظهـرت اغرابـا وابداعـا
حت فتحت باعجـاز خصصت بـه للعمي والصم ابصـارا واسمـاعـا

ولما انتهى الى قوله :

الخيل والليـل والبيـداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال ابو فراس ماذا ابقيت للامير اذا وصفت نفسك بكل هذا تمدح الامير بما سرقته من كلام غيرك وتأخذ جوائز الامير اما سرقت هذا من الهيثم بن الاسود النخعي الكوفي المعروف بابن العريان العثماني

انا ابن الفلا والطعن والضرب والشرى وجرد المذاكي والقنـا والقواضب

فقال المتنبي :

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم

فقال ابو فراس وهذا سرقته من قول معقل العجلي

اذا لم اميز بين نور وظلمـة فما الفرق بين العمي والبصراء

ومثله قول محمد بن احمد بن ابي مرة المكي

اذا المرء لـم يدرك بعينـه ما يرى فما الفـرق بين العمي والبصـراء

وضجر سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها فضربه بالدواة التي بين يديه فقال المتنبي

ان كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا ارضاكم الم

فقال ابو فراس وهذا اخذته من قول بشار

اذا رضيتم بان نجفى وسركم قول الوشاة فلى شكوى ولا ضجرا

ومثله قول ابن الرومي

اذا ما الفجائع اكسبتني رضاك فما الدهر بالفاجع

فلم يلتفت سيف الدولة الى ما قال ابو فراس واعجبه بيت المتنبي ورضي عنه في الحال وادناه اليه وقبل راسه واجازه بالف دينار ثم اردفها بالف اخرى

ثم لم يلبث ان جرت مناظرة لغوية بين ابي الطيب وابن خالويه في مجلس سيف الدولة فادى بهما الكلام الى النفور فالغضب فوثب ابن خالويه على المتنبي فضربه بمفتاح

كان بيده فشج به راسه فلم ير المتنبي لسيف الدولة دفاعا عنه ولا انتصارا له فغضب وتركه ذاهبا الى دمشق حيث لم يمكث الا قليلا وقصد مصر وكان يحكمها اذ ذاك كافور الاخشيدي العبد فلما وصل اليه المتنبي اخلى له دارا وخلع عليه وحمل اليه الافا من الدراهم فمدحه المتنبي بعدة قصائد كي ينتقم لنفسه من سيف الدولة لما كان يعلم من عداوة كافور لبني حمدان ولكنه لم يلبث ان انقطع عن كافور غاضبا عنه لانه لم يف بالوعد الذي وعده به من اعطاءه ولاية او امارة ونظم فيه قصائد يهجوه فيها حتى شنع به وعند رجوع المتنبي الى بغداد عرض له فاتك ابن ابي جهل الاسدي في عدة من اصحابه فاقتتله فقتل المتنبي وابنه وغلام له وقد ذكر بعض الرواة ان ابا الطيب قاتل حتى احس بالضعف فعمد الى الفرار فقال له غلامه لا يتحدث الناس عنك بالفرار وانت القائل :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال قتلتني قتلك الله وحمل على الاعداء فقتل وقد رثيه كثير من الشعراء المجيدين منهم ابو القاسم مظفر بن علي الطبسي الذي قال فيه

كان من نفسه الكبيرة في جيش ومن كبرياءه في سلطان
ما راى الناس ثاني المتنبي اي ثان يرى لبكر الزمان
هو في شعره نبي ولكن ظهرت معجزاته في البيان

صفاته واخلاقه

قد اشرت فيما سبق ان المتنبي كان محبا للعظمه والسيادة والترفع عن الدنايا وقد يمكن لنا ان نعلم ذلك من حياته وشعره وشواهد عديدة على هذه العظمة الفطرية وقد بلغ من كبره ان يشترط على ممدوحيه من الامراء الا ينشدهم الا جالسا فيقبلون ذلك رغبة في شعره وقد قال في صباه وهو احسن مثل لكبرياءه وادعاءه

اي محل ارتقي اي عظيم اتقي
وكل ما خلق الله وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

ومن صفات المتنبي التي لا تنطبق على اخلاقه من حب السيادة والترفع من

صغائر الامور واحتقار الماديات الرغبة في الحرص وشدة البخل حتى ضربت بشحه الامثال وهجاه بعض حاسديه منهم ابوبكر الخوارزمي الذي يقول فيه

وان احق الناس باللـوم شاعر يلوم على البخل الرجال ويبخل

قال ابوبكر حضرت عنده يوما بحلب وقد احضر مالا من صـلات سيف الدولة فصب بين يديه على حصير قد افترشه فوزن المال واعيد في الكيس واذا بقطعة كاصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت خلال الحصير فأكب عليها بمجامعه ينفرها ويعالج استنقاذها منه مشتغلا بذلك عن جلسائه حتى توصل الى اظهار بعضها فتمثل ببيت قيس بن الحطيم

تبدت لنا كالشمس بين غمامه بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ثم استخرجها وامر باعادتها الى مكانها من الكيس فقال له بعض جلسائه اما يكفيك ما في هذه الاكياس حتى ادميت اصبعك لاجل هذه القطعة فقـال انها تحضر المائدة وبعض الناس يعتذرون لابي الطيب ويقولون ان من ذاق لوعة الفقر ووحشه العسر يكون حريصا على الاموال مخافة الوقوع في الفقر مرة ثانية مع ان شاعرنا يقول

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقد اتممنا الان الكلام على حياته واخلاقه وصفاته فلنتكلم على شعره

شعـره

لم يكن المتنبي ينظم قصيدة من قصائده الا سارت في بلاد العرب من بلدة الى بلدة ومن مجتمع الى مجتمع حتى اكتسب شهرة ما يزال يتمتع بها اليوم ولن يزال يستمتع بها على مرور السنين والاعوام واسباب هذه الشهرة مختلف فيها فيرى بعض النـاس انه انما نال هذه الشهرة وانفرد بالمزية على غيره الا لخفاء معانيه وبعد ماتاها وكثرة ما يحتمل كلامه من وجوه التفسر وضروب التآويل ولكنا متى شرحنا البيت بما هو ابين من لفظة وبعبارة اخرى متى صورناه بالصورة التي حقه ان يصور بها ذهب خفاؤه مهما كان دقيقا والمعاني الشعريه ليست هي من قبيل الاسرار الصوفية التي تقتضى دقة نظر في تفهمها وانما هي معان طبيعية تدركها البداهة لاول رمز والاختراع من حيث هو لا يقتضي الخفاء ولو كان ذلك لخفي اكثر شعر المتقدمين ممن سبقوا الى ابتكار المعاني مع انك لا تكاد ترى في شعرهم ما غاص في الابهام الى الحد الذي نراه في

بعض شعر المتنبي والراي ان استغلاق معانيه وارد في الاكثر من جهة ضعف التاليف واضطراب العبارة وارد لا من جهة غرابة المعاني ودقتها والاوجب ان يكون شاعرنا في حدثان امره ادق ذهن واقدر منه على الاختراع بعد استحكام قريحته وتبحره في المعاني حيث انا اذا تفقدنا المعجمات من ابياته فاكثر ما نجدها في اوائل شعره على انا اذا تصفحنا كل شاعر لم نستغن في بعضه عن امعان النظر واستعمال الفكر في استبانة المقصود منه لاستعارة غامضة في البيت او اشارة الى المراد من طرف خفي على ان اغراض الشعر تكون اخفى من اغرض النثر وابعد تناولا لكثرة ما يقع فيه من الصور الخياليه والتماثيل الوهمية فضلا عما للشعر من المقامات الحرجة التي تضطره الشاعر الى احالة الكلام عن وجهه لنزوله به على حكم الوزن والقافيه

فنون شعره

قد طرق المتنبي ابوابا عديدة من فنون الشعر في ديوانه منها المراثي والمفاخر والمدائح والاهاجي والحكم والغزل

مدائحه

لم يتخذ شاعرنا طريقا جديدا في المدح بل اتبع الاولين ونسج على منوالهم فبدأ قصائده بالغزل مثلهم للتخلص للمدح وكثيرا ما يسيء التخلص كتخلصه اذ يريد ان يجعل الناس جمالا فيركبهم الى ممدوحه

لو استطعت ركبت الناس كلهم الى سعيد بن عبد الله بعرانا

وغير ذلك من التخلصات المضحكة ولكنه عند ما يرجع الى فطرته من حب العظمة والرغبة في الحكم ويبدا بذلك قصائده ياتي بالعجب العجاب ومن قصائده التي اجاد التخلص فيها قصيدته التي طالعها

لكل امرى من دهره ما تعوّدا وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

وقصيدتها

على قدر اهل العزم تاتي العزائم وتاتي على قدر الكرام المكارم

وقصيدته

الراي قبل شجاعة الشجعان هو اول وهي المحل الثاني

وبالجملة فان ابا الطيب لم يجد في مدائحه لانها كلها متكلفة لما نعهد في شاعرنا من عظمة النفس وعلو الهمة ولولا طمعه في التحصيل على امارة او ولاية لم تسمح له نفسه مدح انسان على وجه الارض حيث انه يحتقر الناس جميعا ويرى نفسه فوقهم ولكنه رغم ذلك قد اجاد في بعض القصائد وانه ليروقني قوله في مدح سيف الدولة .

ولي فيك ما لم يقل قائل وما لم يسر قمر حيث سارا
وعندي لك الشرد السائر ات لايحتصصن من الارض دارا
اذا سرن من مقول مرة وثبن الجبال وخضن البحارا

وهذا من احسن ما قيل في الشعر السائر وانا لو تاملنا وامعنا النظر مليا لتبين لنا جليا واضحا ان هذا من المفاخر لا من المدائح حيث ان الشاعر يفتخر بشعره ولا يذكر شيئا من محاسن سيف الدولة

ولقد ذكر في المدح في قصيدته هذه التي سانشدها لكم والتي يمدح بها سيف الدولة فيقول له

وقفت وما في الموت شك لواقف كانك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى الى قول قوم انت بالغيب عالم
ومن طلب الفتح الجليل فانما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
تدوس بك الخيل الوكور على الذرى وقد كثرت حول الوكور المطاعم
تظن فراخ الفتح الك زرتها باماتها وهي العتاق الصلادم

مراثيه

لم يكن قط المتنبي راثيا بل كان دائما معزيا ومسليا لان الراثي يشترط فيه ان يتاثر لمصاب الثاكل اما شاعرنا فانه لم يكن ليقيم لحوادث الدهر وزنا حتى يتاثر

لذلك فكان يحتقر الناس ويحتقر ما يصيبهم من محن وملمات فتراه عوض ان يرثي ياتي بالتعازي الحكمية والاقوال الفلسفيه ومن ذلك قوله

يموت راعي الضان في جهله كما يموت جالينوس في طبه

وتراه كلما تراكمت عليه المصائب يتلقاها بصبر وثبات ساخرا منها ومن ذلك قوله

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا فلما دهتني لم تزدني بها علما

فكان عدم تاثره لفقد الذي يرثيه يدعوه احيانا الى ارتكاب سوء الادب وجرح عواطف الثاكل وقد عزى سيف الدولة عن اخته بقوله (مخاطب الارض)

وهل سمعت سلاما الم بها فقد اطلت وما سلمت عن كثب

وهذا غاية في سوء الادب والجهل بمواقع الكلام حتى قال ابو بكر الخوارزمي لو عزاني انسان عن حرمة لي بمثل هذا الحقته بها وضربت عنقه على قبرها ولم يخلص المتنبي في الرثاء الا عند وفاة جدته فقد تالم لهذا المصاب تالما شديدا وكانت الوطاة عليه ثقيلة جدا كان ابو الطيب في تنقلاته العديدة لا يعلم اهله باخباره والى اين يذهب حتى كان هؤلاء يقطعون الرجاء منه وكانت جدته لامه تحبه حبا شديدا فلم تطق صبرا على طول غيابه وبعثت اليه تستقدمه فلبى ابو الطيب دعوتها وعند وصوله الى بغداد ارسل اليها كتابا يسالها الذهاب اليه حيث يتعذر عليه دخول الكوفة فلما وصل كتابه اليها قبلته فرحا واشتد بها السرور حتى فاضت لذلك روحها فقال يرثيها

احن الى الكاس التي شربت بها واهوى لمثواها التراب وما ضما
بكيت عليها خيفة في حياتها وذاق كلا ناثكل صاحبه قدما
حرام على قلبي السرور فانني اعد الذي ماتت به بعدها سما
تعجب من لفظي وخطي كانما ترى بحروف السطر اغربة عصما
وتلثمه حتى اصار مداده محاجر عينيها وانيابها سحما
رقا دمعها الجاري وجفت جفونها وفارق حبي قلبها بعد ما ادمى
ولم يسلها الا المنايا وانما اشد من السقم الذي اذهب السقما

فاصبحت استسغى الغمام لقبرها وقد كنت استسغي الوغا والقنا الصما
وكنت قبيل الموت استعظم النوى فقد صارت الصغرى التي كانت العظمى
هبيني اخذت الثار فيك من العدا فكيف باخذ الثار فيك من الحمى
وما انسدت الدنيا علي لضيقها ولكن طرفا لا اراك به اعمى

مهاجيه

كان المتنبي اذا هجا نفث كل حقده بطريقة لا يترك بها للهجو رجاء ولو اراد مدحه بعد ذلك لما تمكن لشدة ما كان يضمر من الحقد ويحفض من البغض فكان بذي اللسان مسرفا في هجاءه حتى ولو حاول بعد غسل مهجوه بالمدح الكثير لم يقدر على محو جزء من الوصمات التي الصقها به

ولكم ما قال في هجو كافور عند انقطاعه عنه

لا تشتر العبد الا والعصا معه ان العبيد لانجاس مناكيد
لا يقبض الموت نفسا من نفوسهم الا وفي يده من نتنها عود

وقال ايضا يهجوه

كذا خلقت ومن ذا الذي يخالف ربه
ان اوحشتك المعالي فانها دار غربة
او آنستك المخازي فانها لك نسبه

حكمه

لم يخصص المتنبي من ديوانه بابا للحكم ولكن حكمه منتشرة في قصائده حتى لا تكاد واحده منها تخلو من بيت فيه حكمة او فلفسفة وكان يورد فلسفته وحكمه مورد الامثال وكانت هذه الحكم نتيجة اختبارات وتجاريب شخصية كان سببها خيبات شاعرنا العديدة وتقلبات الايام عليه فكان يورد حكمه في بيت كامل او في شطر بيت

اما حكمه المشهورة التي اوردها في البيت فمنها

ومراد النفوس اصغر من ان نتفاني فيه او نتعادى

نصيبك في حياتك من خليل ... نصيبك في منامك من خيال
اذا كانت النفوس كبارا ... تعبت في مرادها الاجسام
ان السلاح جميع الناس تحمله ... وليس كل ذوات المخلب السبع
اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدّق ما يعتاده من توهم
واذا اتتك مذ متى من ناقص ... فهي الشهادة الي باني كامل
واذا ما خلا الجبان بارض ... طلب الطعن وحده والنزالا
تصفو الحياة لجاهل او غافل ... عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ... ويسومها طلب المحال فتطمع
وما الحسن في وجه الفتى شرف له ... اذا لم يكن في فعله والخلائق

واما حكمه الوارده في شطر بيت فمنها

انا الغريق فما خوفي من البلل ... ليس التكحل في العينين كالكحل
ان النفيس غريب حيثما كان ... مصائب قوم عند قوم فوائد

وفي الماضي لمن بقي اعتبار

غزله

لم يجد شاعرنا في هذا الباب لقلة شعوره بدوافع الغزل حيث شغله عن العشق والحب شواغل اخرى كحب المعالي والطموح الى السيادة وغير ذلك مما شغل عن الحب وعن الغانيات ولكنه مع ذلك قد ابدع في وصفه للغانيات واليكم مما تناهى فيه في الرقة والرشاقة وابدع في التشبيه والتمثيل الى ما لا غاية له في الحسن

سفرت وبرقعها الفراق بصفرة ... سترت محاجرها ولم تكن برقعا
فكانها والدمع يقطر فوقها ... ذهب بسمطى لؤلؤ قد رصعا
نشرت ثلاث ذوائب من شعرها ... في ليلة فارت ليالي اربعا

وقوله

لبسن الوشي لا متجملات ... ولكن كي يصن به الجمالا

وقوله

ازورهم وسواد الليل يشفع لي واثنى وبياض الصبح يغري بي

ولعله احب في صباه فقال وهو صغيرا

ابلى الهوى اسفا يوم النوى بدني وفرق الهجر بين الجفن والوسن

روح تردد في مثل الخيال اذا اطارت الريح عنها الثوب لم يبن

كفى جسمي نحولا انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وهذا الشعر من المتكلف المبتذل

اما وصف الحروب والوقائع فلا يشق غبار شاعر نافي هذا المضمار ولا يدرك شأوه واني اعتذر اليكم لعدم ذكري هذا مع المدائح حيث ان ذلك وارد في هذا الباب واليكم ما قال في جيش يصفه

تمر عليه الشمس وهي ضعيفة تطالعه من بين ريش القشاعم

اذا ضوؤها لاقى من الطير فرجه تدور فوق البيض مثل الدراهم

ويخفي عليك الرعد والبرق فوقه من اللمع في حافاته والهماهم

وفي الختام اقول ان المتنبي جبار عنيد من جبابرة الشعر اخضع اليه القوافي فاتته صاغرة تسعى اليه فحكمها وتصرف فيها كما شاء وشاء له هواه وشغلت طول حياته العظمة فكان عظيما في نفسه وعظيما في شعره

عثمان منسيه

تلميذ بالصادقية

الفتاة والشبيبة

— الطيب سليم —

سادتي ،

ليست محادثتنا هذه نسخة مما كنتم سمعتموه او قراتموه في مثل هذا الموضوع فان موضوع المراة من اهم المواضيع الاجتماعية وهو يهمنا كما يهم جميع البلاد العربية اليوم . وقد خاضت الخطباء والكتاب في هاته المسالة وهي حتى الآن مطروحة البحث في العالم الاسلامي .

فلا تظنوا اني ساتكلم على المسالة من جميع نواحيها — ذلك ابقيه لغيري — او ساخوض فيها مع ما هي عليه من الصعوبة فذلك يخرج عن نطاق موضوعي ، ومحادثتنا انما هي نظر شاب ، بل نظر الشبيبة كلها ، شبيبة احست بما يحدق بها من خطر وما يهدد مستقبلها ولم نبالغ اذا نقول مستقبل البلاد التونسية .

ان رقي فتاتنا وتعليمها وتهيئها للمهمة التي ستقوم بها امر ضروري يتوقف عليه رقي مجتمعنا ، وتاخرها عامل من عوامل انحطاطنا والتقهقر الذي نقاسيه اليوم . فلنتباحث في المسالة ولنفتش كيف ننقضها من الخطر المبرم المحيط بها ولنجد الدواء الشافي لمعالجته

نظرة اجمالية في حالة البنت التونسية اليوم

وبسط العلائق التي لها مع الشبان

هي بصفة عامة باقية على ماكان عليه آباؤنا واجدادنا ولم تتقدم قط .

ان البنت التونسية اليوم في درجة من التاخر تؤلم نفس المفكر فيها . وقد رجعت بالوطن خطوات شاسعة عن درب الرقي والتقدم . وذلك ان اكثرية بناتنا ضالة على تقاليدها القديمة حسنة كانت او فاسدة

دور الطفولة

كيف تتربى البنت في المدرسة الاولى ، مدرسة العائلة التي نمت وترعرت فيها ؟ انا نفضل في هذا الدور الصبي على البنت ونحن اذا فضلنا المذكر قليلا فلا نزال مقصرين في تربيته فكيف بالبنت !!

لم تكن عناية الامهات بصحة الطفل اكثر من عنايتهن باخلاقه.

ترى الام لا تكترث بصحة الطفل وتتركه يلعب به القر والحر ، تطعمه اثقل الغذاء وكل ما تعسر هضمه فتتعب معدته ويمرض ويصاب بامراض خطيرة بالنسبة لضعفه وصغر سنه .

ترى كذلك الام لا تنظفه كما يجب خوفا عليه من البرد .

اذا بكى ابنها متوجعا تظنه يبكي جوعا فتبادر باعطائه الطعام زيادة عما اكله من قبل فتتعب معدته فينمو الطفل ضعيف الاستقامة .

اذا مشى فهو يمشي دون بلوغ سن المشي فاذا تاخر في الدبيب قليلا تراها تعينه على المشي باستعمال الممشاة . وهي علة لا تشعر بها امه . ذلك ان عظامه لينة فبتمرينه على المشي قبل وقته تعوج وتلتوي فيشب الطفل معوج الساقين منحنى السلسة الفقريه مقبب الصدر . هذا من الجهة الصحية .

اما طرق التاديب النفسية المستعملة هي اما الضرب او الشتم وهما من الاسباب العاملة في تصغير همة الطفل وتخفيظ عزته . وبقدر ما نلغيه يفعل ما يشاء من الاعمال الغير اللائقه بسنه فانا لا نعتني بشيء من تربيته الرياضية المفيدة واللازمة لنموه .

بودي لو تعلم الام ابنها شيئا فشيئا الكلام ومعرفة الاشياء ووصفها ، تلقنه فوائد الاشياء وكل ما يحيط بها من نبات وحيوان وغيره ، تعلمه الشفقه والاحسان كل ذلك في بستان مع الهواء النقي امام المناظر الطبيعية الجميلة المؤثرة تاثيرا حسنا في طبيعة الطفل والباعثه في نفسه روح الجمال الطبيعي ومحاسن الخلق . تشرع بعد ذلك في تعليمه الكتابة الاولية باسلوب حسن . فدروسه مزيج من تعلم

ورياضة. تتمرن حواسه واعظاؤه من غير اجبار يخافه او تكرار يمله . اما والحالة هاته فالام جاهلة لا تعرف شيئا . وهي لا تقدر ان تراقب ابنها وان تعينه باعطائه تلك المبادي اللازمة.

فهكذا الطفل كالطفلة يتربى حسب الظروف والبنت في هذا الدور لا تتخلق بالكمالات المفقودة عند الام الجاهلة وهي لا تحتجب بل تعيش مع الطفل الى ان ياتي دور الشباب

دور الشباب

تحتجب البنت عندئذ لا عن الاجانب فقط بل وحتى عن اقاربها فتحرم من حريتها وناتج عن حرمانها الحرية مضار خطيرة.

سادتي ، انا لا اطرق اليوم مسالة الحجاب والسفور ولا اتكلم عما ينتج من حرمان المراة الحريه ولكن اظن ان اشرف طلب هو طلب الحرية : ولكم كلام المنفلوطي :

« لا سبيل الى السعادة في الحياة الا اذا عاش الانسان فيها حرا مطلقا لا يسيطر على جسمه وعقله ونفسه ووجدانه وفكره مسيطر الا ادب النفس . »

ما تصنع المراة اذا بالمنزل اذا احتجبت ؟

فاولياؤها لا يهتمون بتثقيفها اكثر . فتتعلم تدبير المنزل من امها والحقيقة ان هذا العلم اصعب من ان يدرس من امراة جاهلة . فهي على كل حال تتعلمه كما تفهمه امها . وهذا غير كاف.

فلننظر الان كيف تتزوج الفتاة ؟

طريقة الزواج في تونس عقيمة. نتيجتها في الغالب عدم الاتفاق بين الزوجين. لا وسيلة للزواج عندنا الا الخطبة ولكن باعين الاهل والاجوار والخاطبات . ولقد تحسن في اعينهم امراة يمكن ان لا تحسن في عيني المتزوج لاختلاف الاذواق والمشارب . يقيم الرجل معالم العرس اياما وليالي ويتكبد المصاريف الجمة لعروس لم يراها لعمره ولم يتحقق من حسن اخلاقها وسيرتها وجمال نفسها ، انما سمع

عن جمالها واخلاقها ما قالت له الخاطبة التي تصف حسب ما تنال من العروسه واهلها !!!

فاذا حان وقت المقابلة يكاد العروسان يصابان بالغشيان لفرط دهشة كل منهما من الآخر . فاذا تساعدا واتفقا ورضى كل منهما بالآخر رفيقا له ورضت لهما الايام فهذا حال قل ان يصل اليه زوجان . اما البائس الذي قدر عليه ان يعاشر حمقاء او مسرفة او ما شابه ذلك مما يعرفه المتزوجون بالتجربة فيا ويحه ! كذلك الفتاة التي اصيبت بخليع فاسد السيرة فيا ما تقاسي ويا لنكد حياتها !

اما من الجهة المادية فالزواج التونسي افسد ما وجد على البسيطة وذلك من الافراط والتبذير من الطرفين الرجل من جهة المهر والمصاريف التابعة والمراة في تجهيزها . فكم من بيوت خربت واراضي رهنت لاسباب تجهيز عروس . انه لمن القساوة ان تجتهد البنت في تخريب بيت والديها لتزين بيت زوجها . ولماذا تقلد كل تونسية من هي اغنى منها ؟ وهل التوسط في الغنى او الفقر عيبا ؟

ولنا عادة ما زالت موجودة وهي تنتج شقاء الزوجين : هي سادتي اجبار الزوج على التزوج بقريبته - وهي ربما لا تتفق معه او لها اخلاق لا تطابق اخلاقه - فهنالك اجبار لا يرتضيه اي انسان متبصر .

فاسباب شقاء الزوجين في تونس هي حسب ما قدمنا :

(١) جهل كلا الزوجين بالآخر

(٢) زواج مختلفي الطباع

(٣) الجهل

(٤) الزواج القسري

سادتي ، تعلمون ان العائلة فرد من المجتمع . فشقاؤها شقاء المجتمع كله . وهكذا ينشا عن الخلل الواقع في العائلة خلل في المجتمع تصعب معالجته . فان عاشا الزوجان فلا يمكن الوفاق بينهما . والمراة بالاخص لا تقدر على القيام بوظيفتها

الاولى : تربية ابنائها . فهي لا تقدر ان تربيهم تربية قومية – وهي من جهة اخرى لا تحسن تدبير منزلها وكل ذلك ناتج عن الجهل والجمود الذي فيه فتاتنا اليوم .

سادتي . اتعلمون الخطر الذي يهدد مستقبلنا اليوم ؟

أ أحسستم بالداء الحائط بنا ؟ أأنتم نائمون ولا تنظـرون ؟ خطر . سادتي . دار بنا اليوم اذا لا نتدبر في معالجته سريعا فانا متنـا ودفنا وسلام على شعبنا وعلى قوميتنا . وهذا الخطر هو التزوج بالاجنبيات وماله من نتائج مضرة

وها كيف : اذا تعلم الشاب وتقدم وخطى خطوات في الرقي والتقدم ثم رجع من اوروبا حاملا لشهادته . عند ما يصير رجلا ويرجع بوظيفته الى مسقط راسه فانه اول ما يبادر به هو تاسيس بيت – الزواج – ولكنه عند ما يرى ان الفتاة بقت على حالة جهل وخمود . عند ما يعلم انها ما زالت تتقهقر في هفهوف القساوة والشقاء لا يقدر ان يضحي بنفسه وان يتزوج بها . لا . فهي لا تفهمه ومع لطفها الخلقي لا يمكنها ان تتبادل الاراء والافكار معه . وهي ايضا غير جديرة بان تربي ابنـائه كما يجب .

لا ! لا ! لكل هاته الاسباب لا يتزوج بالفتاة التونسية ويتزوج بالاجنبية . فبطبيعة الحال ابناؤها ينشؤون حسب فكرها . يشبون على حب امهم وحب بلادها وقوميتها وانتم تعلمون ما يكون حظ كلمة « الامة التونسيـة » في قلوبهم فان هي فرنسية هم صاروا فرنساويين وان هي اطالية فهم اطاليـون وبالجملـة ففي اقل من نصف قرن لم يبق في تونس انسان هو تونسي . ومن جهة اخرى ففتياتنـا تموت او تفسد او تتزوج بالاجنبيين – هذا اعظم خطر – اخواني لا بد لنا ان نسعى بكل ما لدينا من القوة في مقاومته .

فبالجملة رايتم ان حالة الفتاة التونسية اليوم هي من اتعس الحالات . ما زالت فتاتنا نائمـة في رقاد اشتهي ان ينتهي . جمود . خمود . وجهل وعـدم تمتع بحرية . والاخطار الناتجة عن هاته الحالة المؤسف لها شتى قد بينا منها البعض .

فالتجدد سادتي . لازم لا محالة . لا بد لنا منه

ان مجموع اعضاء المجتمع كالجسد الانساني . فتطور الاعضاء لا تكون صالحة الا اذا كانت محكمة غير ان تكون مبنية على صدف او على القسر والاجبار . ان قلب الانسان ودماغه ويديه يتطوران من يوم ولادته الى الطفولة ومن الطفولة الى الكهولة بحسب قواعد خاصة بالسلسة العصبية والعظمية وغيرها وحسب اشغالهم في الجسد . هكذا ينبغي ان يكون نظام العائلة الانسانية . فتربية الفتاة وعوائدها وقلائدها ينبغي ان تتطور اليوم وقد تطورت هيئة المجتمع الانساني وتبدلت .

ولكن يجب ان تكون عوائدها والتقاليد الجديدة مطابقة ومتوازنة مع القاعدة التي يسير عليه المجتمع اليوم كما انها تتفق مع وظيفة المراة وطبيعتها

فكيف ينبغي ان تتطور حالة البنت وكيف ينبغي ان تكون علائقها مع الشبان وزواجها ؟

سادتي ،

لا يمكن تطور الفتاة التونسية الا بالتعليم .

وما هو هذا التعليم ؟

اقول كلمة في التعليم الموجود الآن بتونس : يقتصر هذا التعليم على تعليم ابتدائي سطحي لا يمنح الفتاة ثقافة صالحة . وحتى الى الشهادة الابتدائية فالنتيجة عقيمة لقوميتنا وللغتنا فالبنت لا تتعلم بالمدارس الحكومية الا تاريخ فرنسا وجغرافيتها وشعائرها وعوائدها ولا تسمع شيئا عن بلادنا كان لا وجود لها في العالم . اما اللغة العربية فلا حظ لها ولا ادنى اهمية ففي الآخرة بناتنا كلهن جاهلات اذا اتفقتم معي في ان ذلك ليس بالتعليم الموصل .

يجب اذا ان نتفاهم في شانهن (وبودي لو كانت هنا البنت معنا . تشاركنا في آراءنا وترشدنا الى رغائبها) ولكن والحالة هاته ما هو التعليم الذي يلزم ان نعطيه البنت التونسية حتى تنقضها من غمار الجهل والحياة الرذيلة .

يجب على المراة ان تتعلم اللغة العربية واللغة الفرنسية كلغة اجنبية . يلزمها ان

تتعلم ما يجب للمنزل من النظامات التي تتوقف عليها راحة الشاب ونظافة المنزل وطبخ الاطعمة الى غير ذلك .

كما نعلمها قواعد النظافة والخياطة وحسن الطبخ وغيرها من انظمة المنزل . يجب على البنت ان تتعلم بالتدقيق فن التربية وتدبير صحة الاطفال لان الام هي كما قيل اول مدرسة للطفل وهي وظيفة لا اشرف منها ولا اصعب . تعرف كل القواعد الخاصة للاهتمام بالطفل وكل ما يخص تربيته وتغذيته وتنظيفه وهنا اعتمد على قول الدكتور كنساي Conseil . ففي احصائه خمسين في المائة من الاطفال يموتون من جهل الامهات بقواعد تربية الطفل .

يجب على البنت كذلك تعلم مبادىء قواعد حفظ الصحة ولها ان تتعلم ايضا الاشغال النسائية ليمكنها ان ترتزق منها عند الحاجة

اذا امكن للبنت فلتتعلم الموسيقى والفن وتتعلم آلة طرب كالعود او القانون فان ذلك يربي لها نفسا رقيقة ويهذب حواسها .

وكما نعطي البنت تعليما ادبيا علميا وفنيا فلا ننسى حظ تعليم الرياضة فذلك مما يقوي جسمها .

هذا كيف يجب ان يكون تعليم البنت التونسية ولكن اهل تقف البنت من التعليم عند سن محدود ؟؟

فلا . الواجب عليها اتمام معلوماتها الثنوية وان امكنها ماديا تتعاطى العلوم العليا . ذلك ان لنا حاجة كبرى بالفتاة المحسنة لوظيفة معلمة او قابلة او طبيبة الخ .

ولكن اليوم ونحن فاقدين التعليم الملزم البنت المنزل حتى تتاسس المدارس المرضية ام هي تتعلم في المدارس الموجودة ؟ ؟

اظن انه يلزم ان تزاول التعليم في المدارس الموجودة وباي لغة كان . وينبغي على والديها ان يتحذروا كل التحذر من المدارس المخطرة اعني مدارس البباصات التي تتعلم فيها البنت شيئا حسنا ولكن ممزوجا بتعاليم دينية تغر باحساساتها الدينية .

سادتي اذا تثقفت البنت فاي مانع لرؤيتها للشاب ورؤيته لها ، الامر الاساسي للزواج .

فمن الواجب على الفتاة ان لا تحتجب وان تشاركنا في اعمالنا وان تحضر في كل اجتماعاتنا . لها ان تجادلنا وان تختار زوجا لها فلا شيء يقي البنت من الفساد مثل اختيارها زوجها بنفسها بعد ان تعرفه وتقارن بينه وبين غيره من الرجال وكذلك يمكن الشاب اختيار زوجة له

سادتي ،

أعتقد ان الحجاب والحرية وسيلتان لصيانة المراة ، ولكن ما اعظم الفرق بينهما في النتائج التي تترتب عليها . حيث ان الوسيلة الاولى توقع المراة في صف الادوات والامتعة وتجني على الانسانية والثانية تخدم الانسانية وتسوق المراة في طريق التقدم العقلي والكمال الادبي

وقد دلت التجربة ان استقلال الارادة اهم عامل في نهوض الرجال . فلا يمكن ان يكون غير ذلك بالنساء .

ادخلوا سادتي المراة في اعمالكم ومجالسكم يسود فيها الصلاح والنظام والادب والوقار .

وهل تخافون يا سادتي خوارا من انفسكم ومرؤتكم وادابكم الى هذا الحد حتى تجتنبوا مثل هذه الاجتماعات الشريفة ؟

لقد تحتم تسهيل علائق الفتاة بالشباب !

ولننظر الآن كيف يستعقل ان تتزوج ،

يتزوج الشاب التونسي بالفتاة بعد ان يختارها وبعد ان يتعرف بها ويعرف اخلاقها وطبعها . فبعدئذ اذا اراد الزواج بها ورضيت فيقع الزواج وهذا الزواج المبني على التعارف والتوادد وعلى المحبة لا شك انه احسن زواج وائمره ومصالحه كثيرة من نظام واقتصاد وسرور داخلي .

وزواج بهذه الصورة انما يضمن لنا حسن العلائق بين الابوين وتادية كل منهما لوظيفته – وبالاخص المراة – لان المراة نظرا لتركيب جسمها النحيل وحواسها

الخاصة وجميع ما يفرقها من الرجل فلها وضيفة لا يمكن للرجل ان يشاركها فيها - وضيفتها حفظ النوع البشري وهي وضيفة تستدعي لحسن تاديتها كل الاوقات - فادوار الحمل والوضع والارضاع وتربية الابناء هي ادوار صعبة فالمراة اذا كانت متعلمة متهذبة جديرة بان تقوم بادوار وضيفتها احسن قيام . وهي تبث في روح ابنها الصغير حب الكمالات والحرية والمحاسن . هي اذا تربت تربية قومية تغرس حب قوميتها في قلب ابنها وتحببه فيما تحبه وتكرهه ما هي تكرة.

سادتي ،

انه لا يكفينا تقرير ما يلزم من التطور وكيف يكون تعليم الفتاة وعلائقها مع الشباب فقط ولكننا نبسط بعض افكار في سبيل الحصول عليها والطرق الموصلة لذلك حيث انه لا يكفينا تسطير البرنامج بل يلزمنا النظر في كيفية تطبيقه.

يظهر مما ذكرنا ان اهم امر والمشكل الوحيد في تطور الفتاة التونسية هو تعليمها وان بؤس حالتها الآن لاشيء عن جهلها.

لا تنكر عدم وجود مدارس لتعليم بناتنا تعليما قوميا . فما هو مرادنا ؟ مرادنا ايجاد مدارس حرة للبنات يعطى فيها تعليم عربي قومي لا حاجة لنا اليوم في ايضاحه ولكن يكفينا ان نعرف انه باللغة العربية وانه تعلم قومي.

ولكن اذا فرضنا المال موجودا والمدارس مبنية لا تترقب الا التلميذات فعلى كل حال لا نجد معلمات

فالامر كل الامر شيء واحد هو المعلمات وكيف ايجادهن ؟

هنا لنا ان نتبع برنامجا محكما حتى نصل الى الغاية المطلوبة.

وها كيف : نعلم الفتاة التونسية . وبعد ان تزاول التعليم مدة سنة او سنتين تتحضر الى امتحان شهادة البريفي « Brevet » واذا حصلت عليها فان ما اخذت من المعلومات في اللغة العربية يكفها مع ما لنا من الاحتياج للمعلمات الآن لان تكون معلمة .

هذا وينبغي ان نحصل على عدد عشرة مثلا في ضرف خمسة اعوام فاذا تم هذا العدد يمكننا ان ناسس المدرسة المنشودة .

ولكن ما نفعل من اليوم لذلك الوقت بالفتيات التونسيات .

انه يمكننا ان ندارك الامر باعطائهن دروسا خاصة مع مزاولتهن للعلوم التي تدرس بالمدارس الموجودة اليوم . وان تعذر ذلك من الجهة المالية فتعليمهن باي لغة مرضينا نوعا ما ويخيره كل عاقل على الجهل الذي هي منغمسة فيه اليوم .

فاذا علمنا البنت واذا وجدنا المعلمات سهل لنا الامر فبعد ان تتعلم الفتاة التونسية يلزمنا امناحها شيئا من الحرية لتهذيب اخلاقها ويمكنها معاشرة الشبان ومقاومتهم اعنى مقاومة ما فسد من اخلاقهم حتى يمكنها باعاناتنا تهذيب الوسط ورقيه الادبي والفكري والمادي .

تكلمت فيما سبق على مزايا الحرية والخطر الوحيد انما يؤدي في بدايه الامر الى سوء الاستعمال ولكن مع مرور الزمن تستعد المراة الى ان تعرف مسؤليتها وتتحمل تبعة اعمالها وتنعود على الاعتماد على نفسها والمدافعة على شرفها حتى تتربى فيها فضيلة العفة الصادقة التي ترفع النفس الحرة على القبيح لانه قبيح لا لان في ارتكابه خوف عقاب او طمعها في مكافاة .

كذلك نسهل الزواج بعدم شرط التكاليف العادية وبغير ذلك من الوسائل

اما نتيجة هذه التربية وهذا التعلم وفائدة هذه الاعمال فهي حسنة بلا ريب وانتم تحققون ما ينتج من ذلك المنافع اكثر من ان تحصى وبالجملة ففيها سعادة العائلة والوسط التونسي .

سادتي .

قد اتممت الكلام في هذا الموضوع ولكن قبل مغادرة هذه المنصة التفت الى الاباء فاقول :

اني استنجدكم ايها الاباء ! اطلب منكم ان ترئفوا على بناتكم امهات المستقبل بايقاظهن من الجهل المنغمسات فيه اليوم ! ارجو منكم ايها الاباء ان تبذلوا كل جهودكم لتعليمهن واخراجهن من زوايا التقهقر ومن الحالة التعيسة التي هن عليها اليوم !

اني اظن انكم ستاخذون بيدهن وتعملون ما هو عليكم متحتم لتهذيب اخلاقهن ووقاية عافيتهن وتاهبهن الى المهمة الشريفة التي ترقبهن او بعبارة اخرى

اريد ان تهيئهن لان تكونن زوجات صالحات قادرات على تربية ابنائهن التربية التي نرمي اليها !

والتفت الآن الى الشبان فاقول :

ان مسالة البنت التونسية هي مسالة تهمنا اكثر من كل احد لا محالة وهي يرتكز عليها رفع مستوي المجتمع التونسي وتقدمه بتقدمها متصل !

فان اردتم معالجة حالها ايها الاخوان فما عليكم الا ان تتحدوا تحت ظل جمعيتنا لوضع ثقتنا في الاباء من جهة ولاعانتهم من جهة اخرى على تحصيل الغاية الشريفة التي نتطلبها !

غاية ويالها من غاية ترفع بامتنا الى اعلى درجات التقدم وتعود على شعبنا باجزل النفع .

الطيب سليم
تلميذ بالليسى كارنو

حياة الفنون الاسلامية وتطورها

— الباهي الادغم —

طرقت مسالة الفنون الاسلامية لا لميلي اليها وولوعي بها فقط ، بل ايضا لاني اتحقق انها تهم كل تونسي خصوصا وان كان شابا وكان يقتبس الدروس المتنوعة في تاريخ الحضارة الاسلامية .

ان درس الفنون الاسلامية وآثارها مفقود بصفة عامة بالمدارس الثنوية العربية وهذا من نقائص براميج التعليم . على اننا لا ننكر ان اسم « الفنون الاسلامية » يذكر لا محالة المرار العديدة بهذه المدارس ، لكن لا قصدا وانما بالتبعية ولايضاح مسائل تاريخية بعيدة . وهذا لا يكفي خصوصا وانا نشاهد ان درس الفنون الاجنبية شيء لزومي بالمدارس الاجنبية .

وانا لا افهم ان يعتنى التلميذ باللغة العربية والتاريخ الاسلامي وان يتساهل فيما يخص فنون قومه التي كتب في شانها الاروبيون المؤلفات القيمة . ولا تتعجبوا من اعتناء هؤلاء بالامور الشرقية لان المادة كانت موجودة والطريق مفتوحة امامهم وذلك لعدم حزم المسلمين واستخفافهم في القرون الاخيرة بفنونهم واعتبارهم اياها شيئا ثنويا لا ينبغي للعاقل ان يؤلف فيه . والى الآن لم اعثر على كتاب عربي موضوعه فني ما عدا كتب عديدة قديمة في المسيقى .

وعلى كل يجب علينا الا ننسى الجهود التي بذلها الاستاذ الجليل سيدي حسن حسني عبد الوهاب فيما يخص افريقية وسقلية والاستاذ يوسف احمد فيما يخص مصر . كما يلزمنا الا ننكر ما اسسه المؤرخون المتأخرون في هذا المضمار حيث اتوا ببعض من البيان . ولكن بصفة عامة هذه البديهات كلها جزئية لا يوجد فيها ادنى اتحاد بحيث لا يمكن للباحث ان يستثمرها كما يود وان يقتبس منها كل ما شاء

ولا زال المسلمون متغافلين عن آثار فنونهم حتى تعاطى الاروبيون — بعضهم مستشرق وبعضهم لا يحسن العربية — تعاطى هؤلاء البحث في الآثار والصنائع التي

لم تضمحل والفوا في ذلك الكتب الطويلة العريضة . ونجحوا في كثير من الاوقات نجاحا كليا وذلك لاعانة علماء المسلمين ومشائخهم وارباب الذخائر الثمينة منهم . فبفضل ذلك تمكنوا من درس المسالة من جميع النواحي . وتخصص البعض منهم في تصوير الابنية والاشكال المرسومة على الجدران . ومن هؤلاء برقوان وفربس دفين . ومنهم من اعتنى بالخطوطات كالاستاذ فون برشم ومنهم من تكلف بالتاليف وتنظيم الاراء كالاستاذ جورج مرسي

وهنالك من اساتذة الفنون الاجنبية من تعرض للمسالة الدينية في الفنون العربية وذهب الى ان القرآن الكريم يحجر التصوير والنحت الذين يؤديان صورة الشخص والحيوان . وهذه في الحقيقة خرافة قد انتشرت في جميع اقطار الاسلام ما عدا في الفرس . وانما نجد في البخاري احاديث صحيحة نظر فيها العلماء واستنتجوا منها :

١) انه مباح التصوير بصفة عامة . والمقصود من التصوير : الصورة التي ليس لها ضل اذا وقعت عليها الشمس .

٢) انه يحجر نحت الحيوان والشخص كلما صار لهذا النحت ضل . ما عدا القطعة المنفصلة على الجسد والتي لا تمكنها الحياة بسبب انفصالها كنصف الانسان الفوقاني .

ولنا الادلة القاطعة على ان المسلمين كانوا من ابرع مصوري العالم في الكتب الفارسية الموجودة بجميع قاعدات اوروبا كمقامات الحريري التي الآن بالمكتبة الكبرى بباريس . ويحكى لنا المقريزي المتوفي في اواخر القرن التاسع انه دون تاريخا للذين برعوا في فن التصوير من المسلمين . ولكن لم نعثر على هذا الكتاب ويحكي ايضا ان احد ملوك مصر المستنصر بالله كان يجلب الى القاهرة المصورين منهم ابن العزيز وقصيد اولهما ، من البصرة والثاني من بغداد . وكثيرا ما نجد اسماء اخرى في مؤرخي الاسلام منها محمد بن الحسن المتوفي سنة ٣٦٥ ومحمد بن محمد وشجاع الدين . ومن سوء الحظ لم يعثر المفتشون على مصطنعاتهم . وعلى كل حال فهذه الاسماء تعد على الاصابع وقلتها انما تفهم من التدين الموجود في صدر الاسلام وتجنب

المعاصي خصوصا وقد يزعم ان من صور صورة دخل جهنم ولكم دليل في هذا البيت .

قلبي يصوركم اذا ما اغتبتموا شوقا وكل مصور في النار

والان فلنرجع . لا يخفاكم اتساع هذا الموضوع ولا يمكن للانسان ان يحيط به من جميع النواحي وان يتعرض فيه لجميع المسائل وذلك في ظرف قليل من الزمان . فلذلك اقتصر اليوم على تحقيق مذاهب الفنون العربية وتحليل مميزاتها ووحدتها واختم ذلك بنظرة اجمالية في الآثار الموجودة بشمال افريقية والاندلس . القصد منها البث والتعريف لا غير تاركا لمن هو اقدر سبيل الاكتشافات الآثارية وبسط ارائه فيها فاقول :

ان الفنون الاسلامية تنقسم عادة الى قسمين :

١) فن البناء

٢) عدة فنون اخرى بل صنائع ذات صبغة فنية كالتصوير والتزويق والنقاشة وصناعة النحاس وصناعة الحلي والنجارة والنسج من زرابي واقمشة . ولما كانت الفنون والصنائع الاسلامية مرتبطة بعضها ببعض . ولما كان مرماها واحدا واسباب انحطاطها وازدهارها واحدة فابحث في تلك الظروف معا من دون تخصيص لان ما أقوله في البناء مثلا ينطبق على كافة الفنون الاخرى ويجب مع بحثنا للفنون الاسلامية كما قلناه ان نحلل مرماها والروح اي الطيبة الخاصة التي تمتاز بها على الفنون الاخرى ولما كانت هذه الغاية ثمرة افكار الامم العربية من جهة الفن يجب ان ندرس الامم العربية من جهة موقعها الجغرافي واطوار حالتها السياسية كما يجب علينا ان ندرس الفنون المحلية السابقة للفنون العربية لان الفنون العربية لم تبرز دفعة ولاول مرة اعني من غير ان تكون مسبوقة بفنون اخرى تولدت عنها، بل انها حدثت ثم ترعرت ونمت بفضل مشارب فنية اجنبية كانت موجودة اذ ذاك . ثم نسعى في تحقيق نقطة ذات اعتبار الا وهي : هل الامة العربية بعد الفتوحات الاسلامية كانت قابلة لتاثير الاجانب عند اختلاطها بهم واستيلائها على امرهم أم لا ؟ فبفضل تلك الارشادات وبمشاهدة الآثار ومطالعة الكتب يمكننا ان نشعر بغاية الفنون العربية وان تتصور اطوارها وان

نتنبه لاسباب ازدهارها وانحطاطها . فبناء على ذلك ابسط بصفة وجيزة حالة العرب في الجاهلية ثم اتكلم في الفتوحات بغاية الاختصار ثم انظر في نتائج اختلاط العرب بالامم الاخرى من جهة الفن

كان العرب في الجاهلية قسمان : القسم الحضري والقسم البدوي .

القسم الحضري : يسكن شطوط البحر وممالك اليمن والحيرة وغسان . وهؤلاء العرب كانوا يتعاطون الفلاحة والتجارة . وكانت لهم فنون عديدة : بناء ، موسيقى ، وغيرهما من شواهد الرقي والمدنية . وهذه الفنون تركت نوعين من الآثار . اما الآثار القديمة جدا التي يمكن ان نقول انها عربية خالصة فهي دثرت كلها بحيث كان مستحيلا فيما بعد ان يقتبس منها العرب عناصر تكون عربية المشرب . واما الآثار الموجودة قبيل الاسلام والممكن مشاهداتها اذ ذاك كانت كلها تقلد ابنية الفرس والبزنطيين .

القسم البدوي : وهو الاكثرية يتركب من قبائل الحجاز ونجد وغيرهما وهؤلاء العرب ليست لهم حضارة مدنية ، هكذا اقتضى موقعهم الجغرافي وحرارة جوهم حيث لم يمكنهم تشييد المدن واحداث الممالك في الصحراء . ولكن كانت لهم شعور رقيقة وحب للطبيعة والجمال . ومن صفاتهم ايضا العظمة والعز وحب السيادة والفخر كما يلاحظ ذلك باشعارهم المشهورة شرقا وغربا

ثم جاء الاسلام وابتدات الفتوحات في الانتشار . فتم فتوح العراق والشام على عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ووقع فتح الفرس عام ١٦ وتم عام ٢١ — وفي سنة ٢٠ فتحت مصر وفي سنة ٢٢ وقع فتح طرابلس الغرب وفتح افريقية على عهد معاوية بن ابي سفيان وفتح الاندلس على عهد الوليد بن عبد الملك . كل هاته الفتوحات في القرن الاول وفي القرن التاسع وقع افتتاح الترك للقسطنطينية .

فانتشرت اللغة العربية بهذه الاقطار المختلفة حاملة للقرآن الكريم ولعبقرية العرب . وانتشر معها الدين الاسلامي . فجاء بعوائد عربية وبافكار عربية محت كل المحو العناصر المحلية وسادت عليها كل السيادة في جميع ميادين الحياة ما عدا فيما يخص الفنون وقواعدها . اذ كان بعض الامم التي اعتنقت الاسلام في درجة

عليا من تلك الناحية ومنها العراق والفرس والشام ومصر اما افريقية واسبانيا فكانت اذ ذاك في حالة تقهقر كما تشهد بذلك اثار ذلك العصر .

والفنون الموجودة في تلك الممالك هي :

الفن الكلداني —

تركت دولة الكلدان آثارا عديدة تشاهد الى الان من قصور مبنية بالآجر وكانت اول من استعمل القباب في الابنية . وقلدها في ذلك البزنطيون حتى ظن ان هؤلاء هم الذين ابتكروها .

الفن الساساني —

كانت فيه عناصر الفن اليوناني وذلك بسبب احتلال اليونان للفرس ثم اخذ يقلد الفن الاشوري . وهذا الفن كثيرا ما نجد آثاره بالعراق

الفن البزنطي —

كان بالقسطنطينية وما يليها من بلاد الترك والشام . اقتبس من عناصر الفن اليوناني ومن عناصر الفن الساساني . وبعد ذلك تكونت له وحدة وجعل يبتكر لنفسه طرقا جديدة وقواعد جعلت له مميزات خاصة . وكان يستعمل بكثرة الفسفساء والقباب وكان منتشرا بالبعض من الشام ومصر وطرابلس وشمال افريقيا والاندلس .

الفن القبطي —

كان موجودا بمصر والشام ويرجع الى التزويق والتصوير والنقش ومن مميزاته اسلوب خاص في نقش الاشجار والازهار على صورة خيالية

نتيجة هذه النظرية تلخص في ثلاثة نقاط :

١) ان العرب بصفة اجمالية ماكان لهم اعتناء بالفنون لفقدها عندهم وللاسباب التي رايناها . ولكن كانت لهم احساسات لطيفة وحب للجمال

٢) انهم يحبون الفخر والظهور والغلبة على غيرهم في جميع ميادين الحياة ويمكننا ان نقول حتى في الفنون

٣) انهم عند ظهور الاسلام كانوا في حاجة لايجاد الفنون وهذا يقتضيه النظام السياسي الجديد

٤) انهم وجدوا عند افتتاحهم للامصار حضارة وفنون جميلة ترضي حاجتهم

ونستنتج من ذلك كله انه يستبعد جدا ان يبتكروا لانفسهم فنا جديدا وذلك لفقد التجربة والتربية الفنية عند امة بدوية مثلهم بل كان يتحتم عليهم تقليد من هو اسبق منهم في هذا الميدان . اذا فكانت الفنون الاسلامية حادثا اجتماعيا اقتضته الظروف . فكيف يكون هذا الفن وما هي صفاته ومراميه ؟ يمكننا ان نقول من الآن قبل ان ندرسه وبناء عما سبق . انه سيكون سريع النمو والوحدة حاملا لصفات العرب الاحساسية اعني انه سيكون لطيفا جميلا تتغلب عليه الرقة الغريزية عند من ابتكره

اما وحدة الفنون العربية فتكونت بعد اطوار : دور الانتشار والانتقال ، ثم دور النمو ، ثم دور الكمال .

الدور الاول — كانت جيوش الفتوحات تجهز تارة بالشام وتارة بالعراق ، ثم تسعى في افتتاح الممالك المختلفة كمصر وطرابلس وافريقية . ومن الجنود جم غفير من الصناع . منهم من كان نحاتا ومنهم من كان مصورا او بنايا او سراجا فكانوا معتنين بصناعاتهم في بلدانهم وانما تخلوا عنها للقيام بواجب ديني ، الا وهو الجهاد . وعندما خمدت نار الحرب منهم من مكث بعد الفتوحات في مصر ومنهم من اقام بافريقية . والحاصل ان كثيرا من الصناع تخلوا عن مسقط رؤوسهم . ومكثوا في بلدان حديثة الافتتاح . ولما كان السلم ، رجعوا الى صنائعهم ، وقاموا بها حسب ما كان لكل منهم من القواعد المستعملة في وطنه .

هكذا كانت تنتقل من الشام الى افريقية والمغرب مثلا عناصر الفنون القديمة عناصر الفن اللساني ، عناصر الفن البزنطي ، وغيرهما من الفنون . ولكم على ذلك دليل : نشاهد بخارج مسجد القيروان الاعظم ، الذي هو من اقدم اثار العرب

في افريقية اسنادا ترتكز عليها جدران المسجد . القصد منها مقاومة ارتجاف البناء وهذه الاسناد نجدها هنا لاول مرة . اما استعمالها فهو موجود بكثر عند مهندسي الكلدان . وكذلك نلاحظ ان من اشهر اشكال المراقي الموجودة بالصوامع في شمال افريقيا اللولب . واول من استعمله على هذه الصورة الكلدان في مراصد الكواكب فيتضح لنا جليا ان الفن الشمال الافريقي اقتبس من الفن الشرقي شيئا من قواعده واساليب بنائه . ومن المعقول ان كلها اجتاز فن ببلاد الا ووجد بها فنا محليا ربما كان في حالة ازدهار . فينشأ من هذا الاختلاط تقليد . وهذا التقليد يكون حسب قيمة الفنون ودرجتها في الرقي اعني ان الفن الاقدم والذى له مميزات يمتاز بها عن الاخر هو الذي يكون له الحظ الاوفر في التاثير . فياخذ الاول من قواعد الثاني ويرفض البعض منها لعدم مطابقتها له او تاهلها لحاجته . وهذا الاندماج قد وقع بفضل ظروف عديدة وبطرق متنوعة

اما السبب الاول في ذلك هو التقليد الخلقي الموجود في البشر : تقليد الغالب للمغلوب تقليد المغلوب للغالب . يقول ابن خلدون في هذا المعنى « تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وسيرتهم والكثير من عوائدهم واحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت » والثاني : وهو حب البذخ والرفه الذي كان للقواد والامراء بعد الفتوحات يرجع الى صفات العرب من السيادة والتغلب والمسابقة . ومن هذا القبيل تقليد امراء الجيوش والعمال لعوائد الروم ونظاماتهم وبنائهم . فكانت الملوك في صدر الاسلام تجلب المصورين والمهندسين وحتى المواد البنائية من مرمر وساج وصدف . وكان ابن خلدون قد تعرض لذلك فقال : فلما جاء الاسلام واستولوا علي على ممالك الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلبوهم عليه وكانوا من البداوة والغضاضة على الحال التي عرفت لهم من غضارة الدين وشدته في ترك احوال الفراغ وما ليس بنافع في دين ولا معاش . فهجروا ذلك شيئا ما وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم الامم وصاروا الى نضارة العيش ورقة الحاشية .

قلت ان فن البناء كان بسيطا جدا بجزيرة العرب ان لم نقل مفقودا . والدليل

على ذلك فقد ذكر البناءات في شعر العرب . فكانت الامة العربية « تفتقر امر بنائها الى غير قطرها » . وهذا وقع لكثير من ملوك العرب ، خصوصا للوليد بن عبد الملك بن مروان . يقول الرحالة ابن بطوطة وانا اتثقه في نقطة دينية مثل هذه في مسجد دمشق المعروف بجامع بني امية : « وكان الذي تولى بناءه الوليد بن عبد الملك بن مروان فوجه الى ملك الروم بقسطنطينية يامره ان يبعث اليه الصناع . فبعث اليه اثنى عشر الف صانع » ولا تهمنا الارقام حيث فيها من المبالغة ما فيها . بل نكتفي بتحقيق هذه البعثة الفنية التي توقفنا عما كانت عليه الفنون العربية في طفوليتها من الاحتياج الى الفنون الاخرى . يقول ابن بطوطة ايضا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة « فبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وعمل فيه مع اصحابه وجعل له حائطا ولم يجعل له سقفا ولا اساطين وجعله مربعا » حتى قال : « فلما اشتد الحر تكلم اصحابه في تسقيفه فاقام له اساطين من جذوع النخل وجعل سقفه من جريد . وبقي المسجد على ذلك حياة رسول الله وحياة ابي بكر . فلما كانت ايام عمر زاد في المسجد . ثم زاد فيه عثمان رضي الله عنه وبناه بقوة وباشره بنفسه وصنع له محرابا وقيل ان مروان هو اول من بنى المحراب وقيل عمر بن عبد العزيز . ثم زاد فيه الوليد بن عبد الملك فوسعه وحسنه وبالغ في اتقانه وعمله بالرخام والساج المذهب . وكان الوليد ابن عبد الملك بعث الى ملك الروم ان يبعث اليه بالعملة . فعملت فيه وجعلت له صوامع »

وهذا التدريج في الاتقان يصور لنا اطوار الفن العربي من ميلاده الى دور النمو . اما صفاته فهي البساطة في اول الامر والمطابقة لما تقتضيه الحاجة . ثم يتغلب عليه التكلف للاسباب التي رايناها .

دور النمو والكمال

وهذه النظريات كلها تنطبق على الفن العربي في القرن الاول والثاني . وهو اذ ذاك ليست له مميزات . تارة يقلد وتارة يبتكر وعلى كل حال فهو لم يستقل . ولكن لم يلبث الا واعتنى به الفنانون والمهندسون وحاول كل واحد حسب مقدرته

في تهذيبه واكسابه روحا عربية تميزه من غيره . فاعانهم في ذلك الخيال الغريزي عند العرب وذوقهم السليم ، وتسابقوا حتى ذهبوا به احسن مذهب . فاتوا بقواعد لم تعهد وبطرق لم تستعمل وبلغوا في الاتقان والتصنع الى اقصى الدرجات . وهذا الدور من تاريخ الفنون العربية قصير جدا لانه سرعان ما وصلت فيه لدرجة الكمال .

ولما تعددت ممالك الاسلام واستبدت الادارسة بفاس ، والاغالبة بالقيروان ، والاصافرة بالفرس ، ثم الفاطميون بافريقية ومصر ، ثم بنو طولون بمصر وبنو حمدان بالموصل والشام ، وبنو امية بالاندلس . فقلت المواصلات بينها وانفكت الوحدة السياسية التي كانت تربطها وصارت كل دولة مستقلة لها كتابها وشعراءها . وبسبب ذلك تقاطعت الفنون العربية شيئا ما وصارت تنموا وتزدهر وتتطور حسب البقاع والازمنة والاذواق . ولولا ذلك لبقت الفنون العربية تنسج على منوال واحد ولكن هذا التطور في الحقيقة نسبي لان وحدة الفنون العربية لم تنحل ابدا . نعم اقتضت العادة مراعاة مذاهب مختلفة : مذهب الاندلس – مذهب شمال افريقيا – مذهب مصر والشام . ولكن في الحقيقة هذه المذاهب لا تختلف الا في بعض الاساليب البنائية واستعمال الرسوم والاشكال التحسينية . واما المرمى الفني الذي يدل على ان القطعة عربية فلم يتغير ابدا . ولو كانت الفنون العربية ثمرة افكار مختلفة واذواق تتغير بحسب الاقطار فلا ينفي ذلك كونها تحمل دائما وابدا طبية عربية خاصة . واذا نظرنا في هذا الاتحاد الروحاني نجده ناتجا عن انتشار الاداب والفكر العربي والدعوة المحمدية التي جعلت للمسلمين على اختلاف اقطارهم شؤونا متشابهة ومخيلة خاصة . وهنالك ايضا داع قوي لهذا الاتحاد . وهو الحج الى بيت الله الحرام . كان الصناع على اختلاف فنونهم يجتمعون في كل سنة بمكة ويتباحثون في الفنون وهذه المحادثات لا تخلو من الانتقاد وبسط الاراء الفنية ، ورفض القواعد والاشكال التي تداولت حتى اعجلت عليها الشيخوخة ، وابتكار العناصر الجديدة . فبفضل ذلك يرجع الصانع لبلاده حاملا وتعاليم واراء ليست موجودة فيها . فيعمل بمقتضاها ، ويتبعه في ذلك اصحاب صناعته .

***

وامتداد دور الاتحاد والكمال على نسبة الحضارة والسلم يختلف بحسب الممالك والعصور . وآثاره هي التي تدل علي صفات الفنون العربية عامة وتمكننا من درس غايتها وتحليل روحها . قلنا ان الفنون العربية تكونت عن عناصر اكثرها اجنبية . والاقتباس والتقليد امران واضحان هنا . ولكن هذا التقليد لم يكن بليدا بل انتج اشياء جميلة لها خاصياتها ومزاياها . فبفضل العرب كان المزاج بديعا رونقا وجمالا مستقلا عن جميع العناصر التي تكون منها لو نظرنا اليها العنصر بعد العنصر وقابلناها به حاملا لصفاة العرب النفيسة يدل على ذوق سليم واعتناء ذكي طيب وقريحه فنية خالصة . والتناسب الموجود به اكسبه قيمة فنية معتبرة جعلته من مفاخر الانسانية ومن اعظم ما خلده العرب خصوصا ومؤسساته تمتد من المحيط الاطلنطيكي الى المحيط الهندي والصين . وليس من باب الانتقاد ان نلاحظ فيه المبالغة في التنميق والتكليف والتصنع لان ذلك امر كل فن جميل عند ما يحبس مكانه ويعسر عليه التطور ويتغلب عليه الامتثال للعوائد والقواعد الفنية . ومن الصفات التي يستقبحها بعضهم في هذا المزاج الخيال المتغلب على اكثر المصطنعات العربية . نعم ان الخيال — بل ملكة تصور الاشياء بصفة خاصة خيالية — موجود عند فناني الاسلام . ولكن هل يمكن ان نستقبحه وقد اتى بالسحر في هذا الميدان ؟ فهي على نظري غلطة تدل على عدم معرفة القريحة العربية . قد اكسب هذا الخيال الفنون العربية اساليب شتى ترجع اكثرها الى التصوير والتزويق امتازت بها على كافة الفنون الاخرى . ومن هذا القبيل طريقة التصوير الموجودة بالمجلدات الفارسية وهي من ابدع ما ابتكره العرب ونحت الحجر والجبس والخشب على اشكال هندسية لم تسبقهم فيه امة من الامم وتصوير الاشجار والازهار بصفة متحبكة خيالية واستعمال الخط لغاية فنية ورسمه على الجدران لا للاخبار فقط بل ايضا لاعجاب الناظر بجودته كلها جعلت للفن العربي شخصية يمتاز بها على غيره .

***

والآن ما هي اسباب انحطاط الفنون العربية ؟ هاته الاسباب سياسية قبل كل شيء ثم اجتماعية ثم فنية .

اما الاسباب السياسية فهي الحروب والثورات وما ينتج عنها من انقسامات وتلاشي . فكلما تغلبت دولة على اخرى نجد الغالبين يسعون في محو كل ما شيده المغلوبون ومنها ايضا الانقلابات الداخلية التي كثيرا ما تقضي على حياة الصنائع واخيرا احتلال الدول الاجنبية ممالك المسلمين الذي ترتب عنه تقليد البناء الاجنبي واضمحلال البناء القومي وهي قاعدة عامة .

اما الاسباب الاجتماعية ويمكننا ان نقول الاقتصادية فهي انتقال الثروة من قسم اجتماعي الى قسم آخر بعد الانقلابات الداخلية . وهذا امر عام كثيرا ما عمل في تقهقر الفنون اذ كانت تزدهر تارة وتتاخر اخرى بحسب الاعتناء الذي يختلف باختلاف الطبقات ودرجتها في الرقي والثروة .

واما الاسباب الفنية وهي في الحقيقة اقوى تاثير من غيرها فهي ترجع الى تطبع الفنانين بالعادة الفنية المطردة وامتثالهم اليها بدون بذل ادنى جهد خاص خصوصا في القرون الآخيرة . فصارت الفنون العربية تخطوا الى الوراء ان لم تحبس مكانها وهو شيء مستحيل . وبسبب ذلك قلت البراعة والمقدرة . وصارت المصطنعات تتغلب عليها البساطة ويشعها الجهل . ولو انتبه لذلك الاولون لاسسوا لدراسة نواضر الفنون مدارس كمدارس الموسيقى التي كانت بالمدينة وبغداد على عهد العباسيين . فكانت الصنائع العربية من نقاشة وتصوير تدرس في المعامل والحوانيت لا غير . فلذلك ترى بشمال افريقيا مثلا ان القواعد والرسوم تتوارث وتسلم من صانع الى آخر وقليلا ما يبتكر فيها هذا الاخير شيئا جديدا . والى الآن لم اعثر على كتاب ما في فن من الفنون التي اتكلم فيها اليوم وهذا من العجب . بحيث لو طالعت « الفهرست » لابن النديم لوجدت من كتب السحر والطبخ ما شئت . واما كتب النقاشة والتصوير فليس لها خبر اللهم ان الف المسلمون من هذا القبيل فيما بعد .

***

وربما كان من الخير ان اقول كلمة في فن البناء في شمال افريقيا والاندلس . لا بقصد البحث الدقيق وانما بصفة وجيزة حيث هذا الموضوع يستدعي لا مسامرة فقط بل محادثات عديدة . وكما ستلاحظونه انني لا اذكر جميع الاثار ولكن اقتصر على الكلام في البعض منها اضاحة للنظرة العامة التي ارمي اليها .

ان الآثار العربية الموجودة بشمال افريقيا قسمان . قسم ما زال قائما ولم يعبث به الزمان وقسم اندثر وتلاشى ولم يبق منه الا الضئيل ومن هذا القبيل آثار بني حماد وسدراته بالجزائر وبعض آثار تونسية بالقرب من القيروان وآثار رياض ابي فهر بالقرب من تونس . وهذا الاندثار ناش لا عن تداول السنين وانما عن الانقلابات السياسية والثور والحروب الداخلية . اما المساجد فكانت تراعى ولم تهدم في غالب الاوقات لاسباب كلكم على علم منها . واما الدور والابنية العامة من جسور وقصور وغير ذلك فاستولى عليها الخراب تارة وجدد بناؤها اخرى بحيث لا يمكن ان تتصور شكلها الاول عند ما احتطها اربابها . على انه يمكننا ان نستند عما نشاهده منها الآن للحكم عليها ولتحليل صفاتها .

كان فن البناء في اول امره يرمي قبل كل شيء الى العظمة ولكن بدون تكليف ولو كان التكليف موجودا فلم يتغلب على صورة البناء العامة . وكان في ذلك العهد اعني القرن الاول كثيرا ما يستعمل المواد الصلبة . التي تكسب البناء شدة ومناعة وتجعله كالحصن . وهذا لا ينطبق الا على البناء العام . اما البناء الخاص في ذلك العصر فلم يبق منه ما يطلعنا على حقيقته . وهذه المواد اكثرها جلبت من آثار الرومان الموجودة بشمال افريقيا . يقول محي الدين ابن محمد ابن علي التميمي المراكشي في « المعجب في تلخيص اخبار المغرب » « وكل ما بتونس من جيد الرخام وخالص المرمر فمن مدينة قرطاجنة » ويقول ابن خلدون « وكذلك حناية المعلقة الى هذا العهد تحتاج اهل تونس الى انتخاب الحجارة لبنائهم وتستجيد الصناع حجارة تلك الحنايا فيحاولون على هدمها الايام العديدة ولا يسقط الصغير من جرانها الا بعد

عصب الريق وتجتمع له المحافل المشهورة شاهدت منها في ايام صباي كثيرا » فلذلك نشاهد ان المساجد القديمة قد بنيت من الرخام القرطجني وان اسطواناتها في غالب الاحيان رومانية الشكل . ولكننا لا ننكر ان العرب فيما بعد ابتكروا اشكالا جديدة من الاسطوانات منها الشكل المعروف العربي وهو بسيط والشكل الاندلسي وفيه شيء من التصنع

واشهر آثار هذا العصر مسجد القيروان وجامع الزيتونة والجامع الاعظم بسوسة والجامع الاعظم بصفاقس ومسجد القراووين بفاس ومسجد قرطبة

اما جامع القيروان — فاختطه عقبة بن نافع عام ٥٤ وجدد بناءه حسان بن نعمان امير افريقية عام ٧١ ثم زيادة الله ابن ابراهيم الاغلب في اوائل القرن الثالث وذلك بايعاز من العالم القيرواني الشيخ محمد بن يحي بن سلام . وهو الذي جعل في وجه المحراب القراميد المزخرفة البديعة التي جلبت من الفرس . وهو الذي صنع له منبر الساج المشهور الآن شرقا وغربا . وسقف الجامع من الخشب وقد جدد المرار العديدة والآن قد اعجل عليه الخراب وسعي اخيرا في تدارك امره . واسطواناته اكثرها جلبت من قرطاجنة وآثار سوسة . ومن الاسطوانات المشهورة به اسطوانتان من بديع المرمر معروفة الآن بالزبيبات . ولا يمكننا ان نتصور الحال التي كان عليها في اول امره من البساطة وعدم التكليف . ولكن يكفينا ان ننظر وجه الجامع المشرف على الصحن لنشاهد به علامات الارتياب وعدم البراعة في اتقان المنافذ والاقواس حيث يفقد فيها التناسب بسبب تنوع الاسطوانات . وعلى كل فصورته لا تخلو من الجمال ولكن هذا الجمال ليس بلطيف . فهو جمال عظيم شديد القوة

واما جامع الزيتونة — فقد اسس عام ١١٤ ولا فائدة في الاطناب فيه حيث تمكنكم زيارته في كل وقت — ومن مميزاته انه بني بحجر تارة اصفر وتارة احمر على شكل بناءات الروم

واما جامع قرطبة فقد اسسه عبد الرحمان الداخل وبه عدة قطع بزنطية جعلت فيه منذ تاسيسه . ثم جدده هشام الاول ثم الحكم الثاني ثم الحكم الثالث .

واما سواريه فهي قصيرة تعلوها اقواس جميلة الشكل وليس له سقف من الخشب كجامع القيروان . وبه مقصورة قال فيها السيد صلدان المهندس وصاحب كتاب « فن البناء العربي » انها اول مقصورة وجدت بالغرب وانها تقلد المقاصر المعدة في الكنائس للمنشدين . والحقيقة ان اول مقصورة اسست لتمييز السلطان عن غيره في الصلاة هي مقصورة معاوية بن ابي سفيان حين طعنه الخارجي . وهنالك ايضا قول آخر يذهب الى ان مروان بن الحكم هو الذي جاء بها لاول مرة حين طعنه اليماني . وعلى كل فالمقصورة سنة اسلامية تميز السلطان عن الناس وتجعل بينه وبينهم حاجزا واتخذ هذه العادة بافريقية الاغالبة والعبيديون وعمالهم من بني باديس وبني حماد وبنو امية وملوك الطوائف بالاندلس .

وكانت به صومعة عظيمة طولها ثلاثة وسبعون ذراعا . ولكنها الان دثرت تحت تجديد الاسبان .

وخاصية هذه المساجد ان الممر الموصل للمحراب والممر الموجود بين حائط المحراب وصف الاسطوانات الاول دائما اوسع من المسافات الاخرى الموجودة بين السواري . وهذا الشكل نجده لاول مرة بجامع القيروان ثم انتقل من افريقية الى المغرب الاقصى حيث يشاهد بجامع القراووين . وانتقل ايضا الى مصر ويشاهد بالازهر الذي عملت فيه الدولة الفاطمية التونسية الاصل .

والعصر الثاني يمتد من القرن الرابع الى الاحتلال التركي .

اما الدور الاول فيه ويمتد من القرن الرابع الى القرن الثامن فيه نوع استقلال بين الفن الاندلسي والفن الافريقي على ان الاول بدا في التاثير على الثاني .

وذلك لجماله الخاص وقيمته الفنية . ولكن من صفاته اللطافة والرقة التي تدل على احساس فني غريزي في قريحة مبتكريه . واقتبس منه الافريقيون قبل دخول الاسبان للاندلس يشهد بذلك جامع سيدي بومدين بتلمسان والمدرسة التاشفينية . ومن اشهر ما خلده هذا الفن قصر الحمراء بالقرب من غرناطة . اسس في القرن السابع فزاد فيه ابو الوليد وابو عبد الله الناصر ومحمد الخامس من ملوك غرناطة .

وهو اجمل اثـار الموجودة بالعـالم الاسلامي فيه جميع انواع الاقـواس واصناف التلبيس والنقوش .

وبعد ما هاجر المسلمون جزيرة اسبانيا انتشر هذا الفن بشمـال افريقيا وتغلب على الفن المحلي . وترك هنالك اثارا بديعة منها بتونس زاوية سيدي قاسم الجليزي التي يمكنكم زيارتها وهي على نظري متحف فني قيم . ومثل هذه الاثار منتشرة بكيفية عامة بالقرى والمدن التي اسسها الاندلسيون بافريقية والمغرب الاقصى عامة

ومنذ الاحتلال التركي صارت البناءات بتونس والجزائر تقلد البناءات التركية من استعمال القباب وتذهيب باطنها واستعمال الخطوط المنزلة بالرصاص فاختلطت القواعد الفنية التركية بالقواعد الاندلسية وهذا المزاج يشاهد بتونس في بعض المساجد والزوايا منها زاوية سيدي علي عزوز بزغوان وزاوية سيـدي الصاحب بالقيروان . اما المغرب فما زال الفن الاندلسي موجودا به . ومنذ قرن اخذ فن البناء بتونس في التناقص وتقليد الفن الايطالي وهـذا التقليد الاعمى لا يلاحظ في الديار فقط بل حتى في المساجد والمقابر . ويكفيك دليلا ان الضريح بعد ما كان قطعة فنيـة ذات قيمة كالضريح الحفصي مثلا الموجود بكثرة بمقبرة الفرجاني خارج الحاضرة صار متركبا من قطعة رخامية خالصة عليها نقش في غالب الازمنة ليس بعربي وخط يميل كل الميل الى الرداءة

***

اذا ما العمل ؟ هل نضيع ما تركه الاجداد ؟ هل نبتكر فنا جديدا يختلف كل الاختلاف مع الفن العربي ؟ وان فعلنا كيف يكـون هذا الفن وكيف نبتعد فيه عن تاثير الفنون الاخرى ؟

اخواني هذه مسائل تستدعي بحثا طويلا وتربية فنية نحن في حاجة اليها . فيجب علينا الآن درس فنوننا والحرص على اثارها وصنائعها وذلك بفضل جهودنا الخاصة معتمدين على خيالنا الشرقي وقريحتنا العربية .

الباهي الادغم

الرحلات

قامت الجمعية باربع رحلات اشتملت على زيارة الجهة الشمالية والجهة الشرقية من القطر التونسي .

رحلة قربص

وقعت في ٢١ جانفي ١٩٣٣ بمناسبة عيد الفطر المبارك ودامت يوما وكانت القافلة تتركب من ابناء المدارس على اختلاف انواعها فارتحلت على الساعة ٧ صباحا في سيارة عظيمة ووصلت الى قربص على الساعة الثامنة وبعد راحة قليلة وتناول القهوة تجول الزائرون في البلاد وشاهدوا ما بها من المناظر الطبيعية المدهشة واهتموا خصوصا بالمياه المعدنية الحارة التي تجري من الجبل . فطافوا بعين الصبية ذات المياه الطبيعية النافعة لعدة امراض وعين الشفاء وعين الفكرون ثم مروا بحمام قربص المشهور في جميع الاقطار الافريقية وقصدوا بعدئذ عين العتروس سائرين في طريق مشرفة على البحر والجو صاف والشمس في الافق قد اعتلت والانوار مبتسمة

لنفحات الربيع ثم رجعوا الى البلاد لتناول ما لذ وطاب . وقد شارك في هذه الرحلة الفنان سيدي محمد غانم فاطرب جنابه الجميع بموشحات اندلسية مطابقة كل المطابقة للمناظر الشيقة التي كان بها الزائرون واهتزت لسماعها قلوب الحاضرين . وبعد الزوال تعاطى الجميع الصعود الى كمة الجبل فاشرفوا على الوطن القبلي وخليج الحمامات البديع وتمت هذه الفسحة بحفلة شاي ببعض الخانات وكان الرجوع الى الحاضرة على الساعة التاسعة مساء في سرور عام وابتهاج شديد والاقبال الذي وقع على هذه الرحلة التي لم يسبق بمثلها مما حث مجلس الجمعية على القيام برحلة تكون اهم وامد من هاته فوقع الاتفاق على زيارة الجهة الشمالية من القطر

رحلة الشمال التونسي

من الاعمال المهمة النافعة التي قام بها مجلس جمعية الشبيبة المدرسية الفرع المدرسي لقدماء الصادقية القيام برحلة في الشمال التونسي بمناسبة عيد لاضحى المبارك فاقبل الشباب التونسي اقبالا عظيما على هذا المشروع وتكاثرت الاشتراكات حتى بلغ عدد ابناء المدارس الذين شاركوا في الرحلة الاربعين وذلك مما يدل على شريف احساسهم وميلهم الى معرفة وطنهم العزيز فسعى هذا المجلس العامل في ايجاد جميع المرافق من مادية وغيرها واعانه في ذلك جناب مدير العلوم والمعارف ومجلس قدماء الصادقية والسادة العمال الذين مرت القافلة بجهاتهم وجم غفير من افاضل الناس المولعين بالمشاريع النافعة .

غادرت القافلة تونس في اربعين تلميذا من مختلف المدارس : الصادقية – الجامع الاعظم – الليسي كرنو – العلوية . فمرت بمجاز الباب ولبثت به الزمان الكافي لزيارة المسجد الجامع والجسر المشهور ثم تلقاها بتستور المفضال الشيخ السيد الهادي بن عطية واحتفل بها احتفالا جميلا في بعض المقاهي فشكرا له على هذا الاحساس اللطيف . فتجول الزائرون في الازقة العتيقة والمساجد والاثار الاندلسية .

وكان وصول القافلة الى مدينة تبرسق على الساعة الحادية عشر صباحا فتلقاها

المفضال السيد احمد المعموري عامل المكان في جماعة من الاعيان والمشايخ فاستقبلها حضرته بسرور وابتهاج واخذ على نفسه ان يقود القافلة في جولتها بجهته فاتى بدرس نافع في جميع ما يخص تاريخ البلاد وموقعها الجغرافي وجوها النقي وءاثارها وفلاحتها والمسافرون ملتفون حوله منسطين لدرسه العالي شاكرين له . وكان خليفة المكان الفاضل الحازم السيد احمد بن مصطفى بوجبة – وهو مكان بالقرب من تبرسق – قد راس بنفسه تحضيرات الغذاء « بسفح جبل في منظر طبيعي جميل » يعجز الانسان عن وصفه وكانت قد بثت هنالك الزرابي واحضرت الاطعمة اللذيذة فتناولها المسافرون والمياه تتحدر من اعلى الجبل في اجمل صورة.

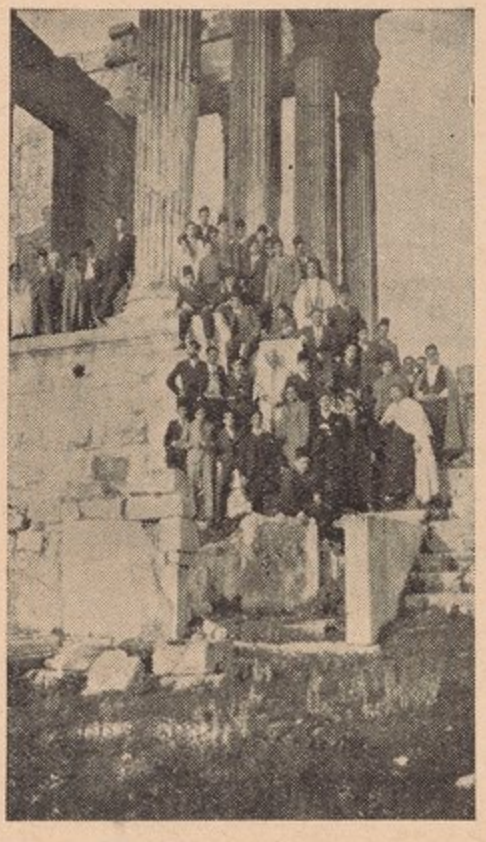

ولاحظ المسافرون بكل السرور ان الشيخ قاضي تبرسق والشيخ قاضي مجاز الباب قد شرفا القافلة بمشاركتهما لها في جولتها بتبرسق وتيبار – وفي هذا المكان الاخير تلقى الزائرين الاب الاكبر فعرض عليهم القهوة وطاف بهم بالمروج ومعامل الزرابي الموجودة من قيروانية وفارسية وحتى الفسيفساء التي كثيرا ما توجد بدقة ثم ارتحل الزائرون الى دقة تحت رئاسة حضرة العامل السيد احمد المعموري فتلقوا هنالك من طرفه درسا تاريخيا مهما شكرا له لما بذله من الجهود ولما اظهره من الاحساس الشريف نحو الزائرين حتى اخذ ذلك بمجامع قلوبهم . فارتحلت القافلة عن دقة شاكرة مسرورة غاية السرور بهذا القبول الذي يستوجب اجزل التشكرات

رحلت القافلة ليلا بالكاف فوقع الاحتفال بها بمحل المفضال الشيخ احمد قدور في جماعة من قدماء الصادقية وفي تقدمتهم امير الامراء السيد الشاذلي العقبي عامل الكاف واعضاء المجلس العدلي والمحامين والوكلاء وكان الشيخ السيد احمد قدور قد تلقى الزائرين معربا عن احساسه الشريف نحوهم منشطا لهم في اعمالهم مسرورا غاية السرور باقامتهم بالكاف وبعد استماع فصل طرب وجيز قام به بعض الزائرين مكثت القافلة ليلتها الاولى بمدرسة الكاف حيث فتحت ابوابها بالاذن من جناب مدير العلوم والمعارف وهذا مما يدل على اعتناء لا مزيد عليه بالتلامذة الذين يزاولون العلوم بالمدارس التونسية

وفي الغد تجولت القافلة بالبلاد وشاهدت من المناظر الطبيعية احسنها وارتحلت على الساعة التاسعة حاملة لتذكار وداديّ لا ينسى

فوصلت القافلة الى سوق الاربعاء فرحب بها العامل الفاضل الحازم السيد مصطفى بن عصمان فاعتذر لعدم مباشرة الزائرين بنفسه وذلك لكونه قائما باعمال لجنة القرعة العسكرية وكلف كاتبه الحازم السيد الحبيب ثابت وبعض الاعيان ونواب الجهة بما يخص اقامة القافلة ببلاريجية

فتناول المسافرون الطعام بقصر من القصور التي بناها الاقدمون تحت الارض وعلى الساعة الرابعة مساء حلت القافلة بعين الدراهم حيث تلقاها الخليفة المفضال السيد الشريف عبو وبعد رياضة جميلة في الغابة المشهورة والاستطلاع على المناظر الجميلة

والاشراف على ارض الجزائر وقعت مادبة بالمدرسة تحت رئاسة السيد الخليفة وفي صباح الغد ارتحلت القافلة عن عين الدراهم فوصلت الى طبرقة . فاستقبلها الفاضل الزكي السيد اسماعيل بن حفصية كاهية المكان بفرح وابتهاج فركب الزائرون زورقين وتجولوا في البحر وتفسحوا في جزيرة طبرقة واكتسبوا اثناء هاته الزيارة معرفة بتاريخ طبرقة وجزيرتها وذلك بفضل ما تلاه جناب الكاهية من الارشادات المهمة التي تدل على سعة معارفه والمامه بالمسائل التاريخية.

وتناولت القافلة الغداء بالقرب من طبرقة في موقع جغرافي جميل بين المروج والمياه الجارية فكانت زيارة طبرقة مما اثر احسن التاثير على التلامذة لا من حيث المناظر الطبيعية فقط بل من حسن القبول والجهود التي بذلها السيد اسماعيل بن حفصية والسيد البشير بن خليل

وبعد ارتحالها عن طبرقة مكثت القافلة قليلا بمستوتة في الاجنة الحديثة العهد الزاهرة المستقبل تحت قيادة خليفة المكان والسيد البشير المعموري، فشهد الزائرون ما هنالك من النظام والتجارب وحسن الخدمة والاجتهاد وتناولوا القهوة وطعاما خفيفا وكان وصولهم الى ماطر قرب المساء فتجولوا بالبلاد مع زميل البعض السيد محمد السايس المستكتب بالمحكمة الشرعية وهو من قدماء الصادقية ثم مرت القافلة بطبربة والباطان وشاهدت معامل الشواشي التونسية وما سمعنا هنالك الا خرير مياه نهر مجردة

وكان رجوع القافلة الى تونس على الساعة التاسعة مساء في امن تام وسرور عام بعد تجولها بشمال الوطن العزيز ومعرفتها لكثير من امور تاريخية وتناولها درسا اجتماعيا اخلاقيا .

رحلة بنزت وفرفيل وغار الملح

قام المجلس بهذه الرحلة تكميلا للرحلة السابقة ولا فائدة في الاطناب في الاقبال الذي وقع عليها لانه صار شيئا عاديا

ففي يوم عاشوراء الموافق ٥ ماي قلعت السيارة من الحاضرة على الساعة السابعة صباحا وكان الجمع ينشد القطع الغنائية والهزلية في تصفيق شديد حتى حللنا بترسخان فرفيل فقبلنا هنالك بعض الجنود وذلك بايعاز من جناب وزير البحر فتجول بالزائرين في المعامل الصناعية حيث شاهدوا الآلات المعجبة التي تقطع الحديد وجميع المعادن وتطرق القطعات التي تستوجب ذلك كما اعجبتهم استعملات الكهرباء لتحريك الآلات ثم انتقلوا الى معامل المفرقعات والمدرعات ومنها الى المرسى الحربي العظيم الذي يشتمل على مدرعات عديدة ما زالت في تجديد او تحسين

ثم وصلت القافلة الى بنزرت على الساعة العاشرة فقبلها بعض الاعيان احسن قبول ثم قصدت جنة المفضال سيدي محمد بن الكاهية وهي بالقرب من البلاد مرتفعة الموقع تشرف على البحر المتوسط . فتناول الجميع ما تيسر من المبردات التي اعدها لهم سيدي محمد بن الكاهية ثم تفرقوا بالجنة حيث بثت الزرابي تحت الاشجار وبعد هنيهة واستحمام البعض حيث كان البحر قريبا اخرج كل زاده وكانت المائدة طبيعية من ازهار يانعة وانوار مبتسمة

وما زالت القافلة بين الفسحة والطرب لغناء البعض حتى حان وقت زيارة المدينة فرجعت السيارة الى بنزرت فوجد الزائرون مائدة الشاي مهيئة ببعض المقاهي فوقعت هنالك حفلة تكرمت بها شبيبة بنزرت وفي مقدمتها الغيور الاخ ابراهيم اللزام . ثم قبلنا السيد الفاضل عبد الرحمان اللزام بالمكتبة اللزامية . فاطلع البعض على كتبها النفيسة ومصاحيفها المزخرفة البديعة ثم تجولنا بالاسواق والمساجد القديمة والمرسى الحديثه .

وعلى الساعة الخامسة مساء قلعت السيارة الى غار الملح فشاهد الجميع اثار المرسى الحربي الذي انشاه احمد باشا باي الاول والترسخان وطافوا بالبلاد وهي على رفعة الامر الذي ادى احمد باي الى تعيينها لحراسة البحر الشمالي

ثم سلكنا طريق الرجوع والشمس على مغيب وقلوب الجميع قد جذبتها لا المناظر الطبيعية والابنية المدهشة والاثار بل الاحساسات اللطيفة التي ظهرت لهم كلما احلوا بقرية من القرى او بمدينة من المدن من الجهة الشمالية

رحلة الوطن القبلي

وهي تكميلية للرحلة الاولى اعني رحلة قربص . وقعت بمناسبة المولد النبوي الشريف اثر الامتحانات السنوية في زمن يستدعي الراحة والتفسح خصوصا للتلميذ الذي مكث عامه بين جدران المدرسة والمنزل في مشاق واتعاب ادبية لا مزيد عليها ولهذه الاسباب وقع اقبال لسنا لنتهيء له فلم تسمح لنا الظروف تجهيز سيارتين لحمل ثمانين مشاركا فاقتصرنا على سيارة رفعت اربعين تلميذا وشارك في هذه الرحلة عدد جم لا من تلامذة المدارس الثنوية فقط بل ايضا بعض تلامذة الجامع الاعظم وهذا يدل على اللحمة والوداد الذين كونتهما الشبيبة المدرسية بين كافة ابناء المدارس فارتحل كلهم صباح يوم ٧ من جويلية واول ما حلوا بقرنبالية وكرومها المشهورة . وعلى الساعة التاسعة صباحا كانت السيارة في طريق الوطن القبلي الخصب بين رياض ومروج وكروم وزياتين وقرى اندلسية الشكل . فمكث الجميع قليلا بقربة ثم ببني خيار ثم بالفهري ثم بدار شعبان . ومن الامور التي تلاحظ هي ان قواعد الزراعة في هذه الاماكن وشكل ترتيب الاشجار وكيفية المساقاة ونوع المساجد والدور تقرب كثيرا مما شاهدناه بتستور في الرحلة الثانية اعني ان تاثير الاندلسيين بهذه الديار واضح جدا كما شاهد البعض ان النقاشة الحجرية وبعض الصنائع والاغاني اشبه شيء بما كان يوجد بالاندلس

وكان وصول الزائرين الى نابل على الساعة العاشرة فقبلها نخبة من قدماء الصادقية المقيمين بنابل وفي مقدمتهم الفاضل الخير سيدي احمد المعموري الذي مزياه على جمعيتنا ليست بيسيرة والفاضل سيدي علي الزين ونخبة من اعيان البلاد فوقع الاحتفال بالقافلة بنادي الاتحاد الاجتماعي وبعد هنيهة قصد الراحلون شطيء البحر بقصد الاستحمام والالعاب الرياضية . ثم تناولوا ما لذ وطاب برياض فيه من الاشجار ما اعجب الناظرين وهو رياض سيدي محمد بحرون

وعند انخفاض الحر وقعت جولة بالاسواق والمساجد وعلى الساعة الثامنة مساء انعقدت مادبة شيقة جمعت الزائرين والقدماء وشرف الحفلة سيدي المراقب المدني

وحليلته وكريمته والقي حضره تنشيطا للمشروع كلمات عذبة وقعت في قلوب الجميع احسن موقع . ولما كان من اليوم الثاني قبل القافلة والد الرئيس المحترم سيدي محمد مبارك بمنزله لتناول المبردات وطعاما خفيفا . وبعد زيارة بعض القرى المشهورة لازدهار صناعة النقاشة بها اطلعنا على معامل الفخار والطيب والحصر وعلى كثير من الصنائع القومية الموجودة بنابل ورأينا ما هي عليه من الاتقان وما بذله اربابها من الجهود في اتقانها

وعند الزوال وقعت مادبة ثانية بشطيء البحر في ابدع منظر واحسن رونق وكانت ايضا احتفال وداع حظر فيها قدماء الصادقية وبرهنوا على شريف احساساتهم نحو الجمعية بحسن القبول والبشاشة

وعلى الساعة الثالثة قصدت السيارة الحمامات بعد تصفيق حاد من طرف اهل البلاد . وبالحمامات زارت القافلة الحصن . وبعد التجول في البلاد قصدنا الجهة الشمالية من الشطي وبها مطبخ . وهنالك حدائق واجنة خصبة واشجار تنمو تحتها كل انواع الازهار والانوار من ياسمين وفل وبنفسج تكسب نسيم البحر طيبة عذبة وهنالك ايضا من الاثار القديمة ما هو جدير بالمشاهدة . ودام استحمام البعض الى غروب الشمس الذي له بخليج الحمامات منظر ياتي الزائرون لتامل منه من جميع النواحي . ثم انعقدت المادبة الاخيرة للرحلة وكان النشاط والهرج فيها عام وجاء البعض بالخطب ارتجالا ولما كان في الساعة التاسعة اخذنا طريق الخضراء والوجوه مبتسمة منبسطة للنسيم وطيب الازهار والقلوب حاملة لتذكار لطيف اخذ مجامعها واوقع فيها احسن التاثير

رحلة زغوان

وقعت بمناسبة عطلة يوم ١١ نوفمبر وكانت اول بدية لسلسلة الرحلات التي سيقوم بها المجلس الجديد لعام ٣٤-١٩٣٣ ولما كانت هذه النشرية تحت الطبع من اوائل الشهر فلم يمكننا اطالة الكلام عليها مراعاة للحدود التي عينت لنا في هذا

نخبة من « الشبيبة » امام السيارة بمجاز الباب

القافلة بالقرب من قصر الماء بزغوان

قبول مدير مدرسة سيدي الناصر للشبيبة بسمنجة

المجلد فتركبت القافلة كالعادة من اربعين تلميذا وزارت المحمدية وآثارها التي اعجلها عليها الخراب ومدرسة سيدي الناصر بسمنجة وزغوان والعيون العتيقة وقصر الماء والفحص وسد الواد الكبير وآثار تبربو ماجوس . ودامت هذه الرحلة يوما واحدا . ولكنها اثرت تاثيرا حسنا على كافة ابناء المدارس . وذلك لما حصل لهم فيها من المنافع الادبية والاجتماعات مع اقرانهم تلامذة مدرسة الفلاحة

كما انها تركت في جميع القلوب تذكارا جميلا . خلدته في مخيلاتهم المناظر الطبيعية والآثار التاريخية . وكذلك الاحتفالات التى اقيمت اكراما لهم من طرف سيدي عبد الحميد النابلي وهو من قدماء الصادقية الذي اطلعهم على المزارع والمعامل والآلات الفلاحية الحديثة والمفضال سيدي الطيب بلخيرية عامل زغوان الذي مهد لهم جميع الطرق ومكنهم من جميع المرافق اثناء صفرتهم في عمله وهيا لهم مادبة عظيمة شكرا له لما بذله من الجهود وما اظهره من الاعتناء بمستقبل الشباب . والسادة الافاضل سيدي محمد مازيغ المترجم الاول بالمراقبة وسيدي بلحسن النفطي كاتب ادارة العمل وسيدي محمد الغلوسي المعلم بمدرسة زغوان وغيرهم من اعيان البلاد الذين عملوا بكل ما في وسعهم في حسن قبول القافلة شكرا لهم من صميم الفؤاد .

الباهي الادغم
الكاتب العام للشبيبة

مأدبة " الشبيبة " السنوية

اتباعا للسنة التي وضعتها العام الفارط قد اقامت جمعية الشبيبة المدرسية مادبتها السنوية بمطعم بغداد لختام اعمالها اثناء السنة المدرسية ولتوزيع المكارم على من نجح من اعضائها في الامتحانات وقد حضرها نخبة من الشخصيات البارزة وعدد غير قليل من الشباب

وبعد تناول الطعام اعطيت الكلمة الى رئيس الجمعية الشاب السيد الحبيب مبارك فقدم خالص الشكر وعاطر الثناء الى هيئة جمعية قدماء الصادقية التي تكونت جمعيتنا في ظلها الظليل وشكر على الخصوص الاستاذ محمد بو رقيبة الذي بفضل مجهوداته انتقلت جمعيتنا من حيز التفكير الى حيز الوجود واثنى كل الثناء على الحقوقي البارع السيد محمد المالقي الرئيس الحالي لجمعية القدماء الذي مازال يمد الجمعية الفتية بالمساعدة والتنشيط . ثم ناقش نفسه الحساب عن الاعمال التي قام بها مجلسه من مسامرات ورحلات فكان عملا جديرا بكل إعجاب

ثم اسندت الكلمة للسيد العربي العنابي فبين المزايا والمنافع التي يجنيها الشباب من هاته الجمعية . فالمسامرات اعتراضية وغيرها تمرنه على السمر باللغة العربية والارتجال . اما الرحلات فيقع فيها تعارف التلامذة بعضهم ببعض وتكون حولهم جوا ملؤه المودة والاخاء

ثم اعطيت الكلمة الى الشاب السيد محمود المسعدي فتعرض للشقاق السائد بين الذين سبقوا في ميدان العمل وعلله بعدم وجود جمعية كجمعيتنا هاته وهي تهيئنا للعمل في المستقبل . واذا تحقق هذا ففيه اجمل عزاء لحالتنا الحاضرة

ثم تكلم السيد محمد المالقي وقال انه لا يبتغي جزاء ولا شكورا عن قيامه بواجبه فهو قد اتبع الطريق الذي خطه سلفه الاستاذ محمد بو رقيبه وحقق لنا ان جمعية القدماء لا زالت ولن تزال تكفل جمعيتنا كفالة الوالد لولده وحرضنا على المثابرة في دراسة لغتنا العربية

ثم ارتجل الاستاذ محمد عطية خطابا رنانا بين فيه ما هو الاستقلال الذاتي وكيف لا يحصل الا باتمام المدارك ثم تعرض للمناظرة التي وضعها المفضال السيد اسماعيل حفصية كاهية طبرقة وقال وان كان له حق الابتكار فهي فكرة قد اوجدها المرحوم السيد احمد العتكي ودفنت مع صاحبها ثم اعلن نتيجة المناظرة

فاحرز على

الجائزة الاولى السيد الصادق المقدم التلميذ بالليسي

ـ الثانية السيد الطيب سليم ـ ـ

ـ الثالثة السيد الطيب العنابي ـ بالجامع الاعظم

ـ الرابعة السيدان محمد الصالح العنابي وفريد بو رقيبة التلميذان بالصادقية

ووزع عليهم الجوايز التي تبرع بها السيد اسماعيل حفصية فله منا جزيل الشكر وجم الثناء

ثم وزع الرئيس السيد محمد المالقي المكارم على :

السيد الحبيب مبارك لحزمه ونشاطه في رئاسة الجمعية

السيدين الباهي الادغم ومحمد الصالح العنابي لنجاحهما في دبلوم الصادقية والباكلوريا معا

السيدين البشير الجعايبي والصادق المقدم لنجاحهما في الجزء الاول من الباكلوريا

السيد الطيب سليم لقيامه بأحسن مسامرة باللغة العربية

السيد محمود المسعدي لقيامه باحسن مسامرة فلسفية ولنجاحه في الجزء الثاني من الباكلوريا

ازاء هاته الاعمال الجليلة لا يمكن للشباب المدرسي ان يتجاهل جمعيتنا واصبح عليه لازما ان ينخرط في سلكها ليمدها بالمعونة الادبية والمادية !

الى المدرسي التونسي

ايها الشاب !

ان الجمعيات اساس رقي الامم وحياتها، فنرى للجاليات الاجنبية المتساكنه بهاته البلاد جمعيات عديدة خيرية وعلمية وادبية وفنية ورياضية وغيرها وهي من اكبر العوامل لترقية تلك الجاليات !

فقد توفق منذ سنتين نخبة من التلاميذ لتأسيس « الشبيبه المدرسية » لجمع شمل التلامذة الذين يزاولون دروسهم بالمكاتب الثناوية

ان جمعية « الشبيبه المدرسية » تسعى لتكوين الفة وتعارف بين تلامذة المدارس الثناوية لكي يتعلموا من عهد الشباب الاتحاد والتكاتف وليتأهبوا للعمل في ميدان الحياة يدا بيد وباتفاق تام !

زيادة عن تعارف التلامذة بعضهم ببعض ان « الشبيبة المدرسية » تمكنك من معرفة بلادك باقامة رحلات في جميع جهات المملكة !

ان هاته الجمعية ترمي ايضا لنشر الثقافة واللغة العربية بين التلامذة باقامة محاضرات اعتراضية وغيرها تطرق فيها المواضيع التاريخية والادبية والعلمية وغيرها بحيث تتكون لك ملكة في الخطابة والارتجال باللغة العربية وفي طرق المواضيع باسلوب متين !

كل هاته الاعمال تهيؤك للحياة الاجتماعية في المستقبل حيث يلزمك ان تضرب بسهم وان تقوم بمأموريتك في هذا المجتمع !

فجمعيه هاته غاياتها وهاته وسائل عملها لجديرة بأن تمد لها يد المساعدة وان تنخرط في سلكها لتكون من اعضاءها العاملين علك تنفع وتنتفع .

الصادق المقدم

يا نخبة الشبان !

بخصالكم يا نخبة الشبان ... نرجو دوام العز للاوطان
فلقمتموا في عين تونس قرة ... وبكم لها مجد ورفعة شان
استمـوا جمعية تسعى الى ... نيل العلا والفضل والعرفان
ولنعم ما استمروه بينكم ... مما يؤلف وحدة الاخوان
يوليكم روح المودة والاخا ... ويقودكم لفعايل الاحسان
فلتنهضوا لنوال كل فضيلة ... وتسابقوا لمعاهد العرفان
وتسارعوا لنوال غايات المنا ... وتقدموا في حلبة الميدان
وتعاهدوا عما يؤهل للعلا ... وتجنبوا ما جر للخسران
يا ايها الشبان لا تتقاعسوا ... وتدرعوا لطوراق الحدثان
الحزم للانسان اجمل عدة ... والخير لا يرجى الى الكسلان
فالجهل خسران وعيش مذلة ... والجهل هو الموت للانسان
عيشوا كراما وانفعوا الوطن الذي ... قد قام يدعوكم بكل لسان
فالعلم احسن ما يرام ويقتنا ... والعلم للانسان عمر ثان
العلم يكسوه البها بجلاله ... وينيله شرفا وعزة شان
انظر الى امم انا رقلو بها ... وبه ارتقت في سلم العمران
جاءت الى الدنيا بكل عجيبة ... هل نظرة لمعامل الطيران
امم تسامت للعلى بمعارف ... واستخرجت ما ليس في الامكان
هيا انهضوا ياقوم وانحوا نحوهم ... شيدوا معاملكم بكل مكان
يا قوم هبوا واذكروا ماضيكم ... وتذكروا ما جاء في القرءان
فلقد اتت ءاياته تدعو لما ... فيه النجاح بغاية التبيان
فهي التي قد انهضت اسلافنا ... وعلت برايتهم بكل مكان
كانوا هداة للانام وقادة ... وتمتعوا بالعز والسلطان
رضعوا لبان العلم وابتهجوا به ... وسعوا الى العلياء بدون توان

عار علينا ان نرى من بعدهم ... في ذلة بين الورى وهوان
خوضوا بحار العلم واكتسبوا العلا ... ء وايدوا الاقوال بالبرهان
هبوا الى احياء مجد قد ذوى ... واستبسلوا في ذلك الميدان
ان المجادة لا تتم لغير من ... اجفانه والنوم مختصمان
فالفايزون بها هم القوم الالى ... شادوا مفاخرهم بكل مكان
لا ترتضوا غير المعالي مكسبا ... فهي الشفاء لغلة الضمآن
وردوا حياض للعلوم واخلصوا النـ ... ـيات في الاسرار والاعلان

التيجاني الشاهد

vis d'elle, en tant que jeunes, nous n'aurez plus de raisons... que dis-je, vous n'aurez plus le droit de ne pas lui appartenir.

Désormais quelle sera votre attitude envers nous ?

Vous désintéresserez-vous de notre œuvre par une négligence coupable et vraiment incompréhensible ?

Ou bien consentirez-vous à collaborer avec nous et verrons-nous un élément jeune et actif nous apporter son aide et sa confiance ?

C'est à vous de répondre !

Bechir JAIBI

JEUNES AMIS !

Il serait superflu de terminer ce bulletin par un appel dont il n'a en réalité nul besoin si nous ne voulions pas faire un dernier effort et, en s'adressant à vos esprits essayer d'arriver à vos cœurs.

Le meilleur moyen pour une association de grouper dans son sein le plus grand nombre de membres, ce n'est pas de promettre monts et merveilles, mais de présenter sincèrement aux yeux du public les résultats de son activité.

Cette tâche a déjà été entreprise et nous n'avons nullement l'intention de répéter ce que d'autres ont dit.

Nous nous permettons cependant d'attirer votre attention sur certains points dignes d'intérêt et de vous faire remarquer par exemple que les organisateurs ont eu le tact et la prudence d'écarter du programme qu'ils ont établi, toute question pouvant diviser la jeunesse en clans haineux et dissiper cette atmosphère d'amitié et de concorde, but principal auquel ils aspiraient... et auquel ils sont arrivés.

Si créer cette concorde et cette amitié est déjà un bien beau résultat, les autres manifestations de l'activité de notre groupe ne sont pas moins appréciables.

Les conférences qui ont eu lieu au local de l'Association, les discussions qui les suivent, voire les simples conversations qui s'engagent ne permettent-elles pas à la plupart d'entre nous de développer en eux des qualités qui, ne trouvant pas ailleurs un milieu favorable pour se former, pourraient disparaître à l'état d'embryon ?

Et que dire de ces belles excursions qui prolongent le charme de leur durée, hélas éphémère, en vous laissant longtemps rêveurs !

Devant les résultats obtenus, meilleurs de jour en jour, nous pouvons, et nous devons espérer encore mieux, car, si ce groupement a mené à bien des choses remarquables, il n'a pourtant pas tout fait et il a pleine conscience qu'il lui reste encore énormément à faire.

Mais une association ne peut vivre et continuer l'œuvre à peine commencée qu'en fonction des nouvelles recrues qui viennent lui apporter une aide et un enthousiasme nouveaux. De plus, si cet élément est jeune, plein d'énergie et de bonne volonté, on peut fonder sur lui les plus grands espoirs.

Lorsque vous vous serez rendu compte non seulement des services que peut rendre une telle association, mais sourtout de vos devoirs vis à

Le lendemain, de bonne heure réception donnée par M. Mohamed M'barek, père de notre sympathique Président. On prend le petit déjeuner hativement, puis on visite la ville en détail; les fabriques de poteries, les fours, les fabriques de nattes, les parfumeries retiennent longuement l'attention des jeunes. Les artisans se dépensent en explications, voire en essais.

Ensuite, l'autocar nous appelle; la caravane, de 9 à midi, visite tous les villages voisins, on vit une foule d'artisans sculpteurs sur pierre et sur marbre. A midi, second et dernier banquet, à la plage, banquet d'adieux; le Anciens de Sadiki se prodiguent en attention délicates; leur accueil nous touche au plus haut point.

Vers les trois heures, nous sommes sur la route d'Hammamet; finis les derniers faubourgs de Nabeul; tout disparait dans la poussière; chacun semble avoir laissé quelque chose derrière lui.

Que de sympathies se sont conçues durant ces trente six heures passées à Nabeul ! Nous sommes maintenant tout près de Hammamet. Les jardins sont luxuriants et l'atmosphère est tellement fluide que nous nous serions envolés sans ailes.

Le large golfe s'étend à perte de vue. Nous commençons la visite de la vieille caserne et les remparts, si hauts que la vue s'étend à se fatiguer sur la mer et les campagnes environnantes. Le panorama est certainement le plus beau de tout ce que nous avons vu jusqu'à présent; l'impression est cependant complexe avec cette légèreté de l'atmosphère qui accentue la moindre sensation. C'est si beau, si vaste, qu'on voudrait piquer une tête du haut des remparts, s'il n'y avait pas les rochers, à ras des flots. Le coucher du soleil dépasse tout ce qu'on peut imaginer; c'est une apothéose d'or et de nacre, sur la plage de sable blanc. Certains prennent un bain, tandis que d'autres, à travers les orangers, s'en vont en quête de quelque mosaïque romaine, car les restes de villas abondent ici.

Mais là-bas, au bout de la plage, le maitre d'Hôtel nous fait signe. Dîner bruyant, animé, pris sous la brise; mais quelle brise, mon Dieu, parfumée au passage par les jasmins et si tentante !

On est cependant obligé de rentrer. On regagne l'autocar, à neuf heures, quelque peu fatigué, mais la tête pleine de visions ineffaçables à jamais.

BAHI LADGHAM

EXCURSION DU CAP BON

Après une année de labeur, l'excursion du Cap Bon devait venir on ne peut mieux délasser les jeunes cerveaux fatigués par les préparations et les examens.

Ce fut le 7 juillet; quarante excursionnistes, Sadikiens, lycéens, etc., figures épanouies, décidées, comme pour un voyage au Congo. L'autocar s'emplit, les applaudissements crépitent; on regarde curieusement cet énorme véhicule d'où surgissent quarante fez — spectacle combien inaccoutumé. Nous voilà sur la route de Grombalia; les conversations, les chants, les farces aussi vont leur train. On est surpris d'être aussi tôt arrivés à Grombalia. Promenade à travers le village, insignifiant d'ailleurs; de la vigne partout. Enfin, nous voilà de nouveau en route; nous sommes maintenant au Cap Bon; la route est d'un pittoresque incomparable : une double haie de cactus, de roseaux, de palmiers encaisse parfois le chemin; ça et là, quelque vestige andalous : réservoir, citerne, puits couverts de coupoles. Puis on visite successivement, Kourba, Beni Khiar, Fehri, Dar Chaabane; tout ici est andalous, ce sont de véritables « huertas » que ces jardins; c'est l'Ariana, mais en grand. Partout des mosquées avec des minarets à base octogonale et des colonnes minces surmontées d'arceaux.

A dix heures, arrivée à Nabeul, dans un nuage de poussière; une délégation vient à notre rencontre, Président en tête. Le Cercle « L'Union Sociale » est fleuri et pavoisé pour recevoir les visiteurs; les Anciens de Sadiki, MM. le Caïd Ahmed Maâmouri, Ali Ezzine et quelques personnalités nous accueillent. Compliments de part et d'autre; on nous gâte vraiment: raffraichissements et gâteaux. On n'a pas le temps de voir la ville; il fait une chaleur torride, et la plage nous appelle. Il serait fastidueux de décrire les ébats de nos jeunes; disons que leur entrain ne prit fin que lorsqu'il fallut remonter en autocar. On le fit à regret; mais on se rattrapa dans les jardins de Si Bahroun, où le déjeuner fut pris, sur le vert tapis, et sous les arbres.

L'après midi, on se promène à travers la ville; on visite les mosquées et les souks. A huit heures, un banquet réunit les Anciens et les jeunes; M. le Contrôleu Civil, Madame et Mademoiselle leur fille assistent au banquet. M. le Contrôleur longuement ovationné prodigue ses encouragements à l'œuvre que nous dirigeons. Puis on regagne le « dortoir » qui a été aménagé dans une vaste maison, à la plage même.

Bientôt, la capitale du Nord, le grand port méditerranéen apparaît à l'horizon. A l'arrivée, l'autocar nous promène dans les principales artères de la ville. La population bizertine nous fait un accueil des plus charmants.

A midi départ pour la Corniche, où M. Mohamed Salah Kahia, nous reçoit le sourire aux lèvres et avec des souhaits de bienvenue. Il met à notre disposition un coin de son beau jardin planté de citronniers. Nous lui redisons notre joie d'avoir été si aimablement reçus et encore une fois, merci du fond du cœur !

Le déjeuner, pris en plein air, fut très gai. Parsemés par paquets de petits groupes, sous les arbres ombragés, les excursionnistes firent honneur aux mets variés, aux sandwichs et aux gâteaux. L'appétit, comme bien l'on pense, ne fit point défaut.

Aussitôt après le déjeuner, les groupes se rejoignirent et deux heures durant, ce fut de bruyants amusements. A trois heures on dut quitter à regret la Corniche pour revenir à Bizerte. Café, suivi d'une longue promenade à travers les quartiers tunisiens puis européens de la ville. Nous fîmes ainsi connaissance avec le grand port dont on nous avait tant parlé.... M. Abderrahman Lazzam nous invita à visiter la très intéressante « Bibliothèque Lazzam » et nous dit sa joie de nous recevoir. Nous l'en remercions très sincèrement.

Tard, dans l'après-midi, nous quittons Bizerte et nous nous dirigeons vers Porto Farina...

Après un tour dans le vieux port des Beys aujourd'hui en ruines, nous visitons le village..., village plutôt triste, qui ne contraste nullement avec les vieux forts délabrés dont les murs suintent la vétusté et la décrépitude. C'est là que se trouvent les colonies pénitentiaires. C'est derrière ces vieilles murailles que des malheureux expient les crimes ou les plus mauvais actes qu'ils ont pu commettre. Et l'on ne peut se défendre d'un profond sentiment de pitié pour ces misérables victimes d'une fatalité implacable, qui se meurent au milieu des ruines.... Oui, c'est plutôt lugubre Porto Farina !...

L'autocar file de nouveau dans la direction de Tunis. La nuit peu à peu jette son voile épais au-dessus des campagnes. Bientôt, l'obscurité est quasi-complète : impossible de visiter Utique, qui figure pourtant dans le programme !

Nous dûmes nous résigner à rentrer à Tunis, fatigués, mais charmés des visions recueillies au cours de notre délicieuse excursion !...

ABD EL AZIZ BELLALOUNA

Nous avons à faire un long parcours, car Ferryville est assez loin de Tunis. Oh ! ne soyez pas en peine, ami lecteur et gardez vous surtout de penser qu'on s'en doutera seulement un seul instant...

C'est qu'on avait alors des préoccupations bien plus absorbantes : des scènes d'un comique irrésistible et improvisése tout d'une pièce succédaient à des plaisanteries de clown....; des mots humoristiques ponctuaient des oonversations en sabirs et, ma foi, l'on se serait cru dans un coin populeux de la Hara on de la petite Sicile, à entendre nos jeunes s'exprimer dans la langue si imagée et si plaisante de Si Kaddour ben Nitram !

Voici maintenant Ferryville, petite ville essentiellement européenne, ville d'ouvriers possédant au plus haut point le cachet de quelque village de France ! L'on est loin des beaux sites orientaux et des villages pittoresques d'une « Tunisie enchantée » !...

L'autocar s'arrête et l'on continue à pied la route qui conduit à l'arsenal. Là on reprend son calme et on est un peu plus sérieux. Est-ce curiosité pour tant de choses nouvelles ? Ou est-ce l'aspect de cet arsenal respirant la vie de la caserne et de l'usine à la fois... qui est cause de ce revirement subit ? Je ne sais ! Toujours est-il que l'on suivit avec un intérêt évident les longues explications du gendarme qui nous servit de guide.

C'est ainsi qu'il nous fut donné de voir des remorqueurs, des torpilleurs, des sous-marins en réparation, de vieux canons, d'immenses dépôts de charbon dont quelques uns ne devaient être utilisés qu'en temps de guerre.... Puis ce fut la salle des machines où de nombreux ouvriers nous fournirent des explications fort intéressantes et firent des essais devant nous : mise en marche d'un immense marteau-pilon, découpages au chalumeau, soudures autogènes, etc..... etc...

Dans l'atelier de bois, on nous fit admirer la puissance des scies électriques coupant avec une grande facilité les plus gros arbres. On passa ensuite à l'usine électrique, alimentée par la Centrale Electrique de La Goulette. A l'abattoir, on nous fit voir de la viande frigorifiée.... Et que sais-je encore ? Deux heures passèrent ainsi en explications intéressantes et en observations éminemment instructives !

Que M. le Commandant Supérieur de l'Arsenal, ainsi que notre sympathique guide et tous ceux qui nous réservèrent le meilleur accueil veuillent trouver ici l'expression de notre reconnaissance et de nos chaleureux remerciements.

Nous voici de nouveau en route, filant à grande allure vers Bizerte... La bonne humour et la gaîté reprennent de plus belle.

M. Essais, greffier du Cadi, nous fait visiter la ville après nous avoir souhaité la bienvenue.

Puis, c'est Tébourba, El Battan et puis... grand dommage ! c'est Tunis, la Kasbah.

Là, nous « débarquons », avec l'impression d'avoir vécu un long rêve ou assisté à un charmant film....

Maintenant, mon cher ami, récapitulons.

Voyons.... la première de toutes les impressions est bien qu'on a énormément rigolé, n'est-ce pas ?

Et puis, on a vu du pays, et du beau, autrement que sur une misérable carte de géographie, on s'est senti vraiment chez soi, en famille...

A tous ceux qui nous ont si généreusement reçus et encouragés, du fond du cœur, merci !

Quant à ceux qui n'ont pas eu la chance d'être parmi nous, qu'ils ne commettent plus la gaffe de lâcher de pareilles occasions. Et si le cœur leur en dit, à la prochaine ! SALADIN

EXCURSION DE BIZERTE

Ce fut le vendredi de l'Achoura... jour doublement férié et attendu avec impatience par nos joyeux excursionnistes, heureux de pouvoir s'échapper une fois de plus à l'ambiance de la Capitale et accomplir une belle randonnée à travers cette merveilleuse région qu'est le Nord-Est de la Tunisie !

Six heures du matin ! Place de la Kasbah ! Des groupes de jeunes gens de tous les établissements scolaires attablés ça et là dégustaient un café et devisaient gaîment en attendant l'arrivée de l'autocar.....

Quelques instants encore et l'on vit arriver la luxueuse et grande voiture qui devait prendre tout ce monde. Les visages reflétaient une franche gaîté et les poumons se grisaient de l'air pur et frais d'un matin splendide !

A six heures et demie, une quarantaine de jeunes gens prirent place dans l'autocar qui démarra aussitôt... et aussitôt également quarante jeunes voix entamèrent en chœur les refrains mélodieux d'un hymne vibrant !...

L'autocar dévore maintenant l'espace... et les compagnes tunisiennes se succèdent dans leur diversité verdoyante... La joyeuse compagnie exulte d'une joie folle.

Souk-el-Arba.

Le Caïd, Si Ben Osman, s'excuse de ne pouvoir nous accompagner, étant retenu par les opérations de tirage au sort. Mais M. le Khalifat, ainsi que plusieurs autres notables, s'offrent volontiers pour nous faire visiter les belles ruines de Bulla-Reggia et nous servent un délicieux couscous dans ce qui a dû être jadis une belle villa. Maintenant, reposez-vous un instant, mon cher compagnon. Il vous faut un peu de souffle, car jusqu'à Aïn-Draham, l'étape est assez longue et... dure. Le moteur ronfle péniblement à travers la forêt de chênes-liège. Dans la ville, M. le Khalifat, Si Chérif Abbou, est là qui nous attend.

Le temps de monter nos valises au dortoir de l'internat et nous voilà de nouveau à pied, parcourant la forêt, allant de source en source, dans une joyeuse débandade.

Cette fois-ci, c'est le réfectoire même de l'internat qui nous reçoit à manger. Si Abbou préside. On crie, on chante, on danse même.

Le lendemain matin, après le déjeuner, c'est le départ pour Tabarka. C'est une charmante ville que Tabarka. Le Kahia, Si Ben Hafsia, est là, debout, un petit sourire de joie sur les lèvres. Il serre la main à tout le monde et, après une courte visite dans la ville, deux grands canots nous transportent et font le tour de l'île de Tabarka, sur laquelle Si Ben Hafsia nous donne de charmantes explications.

Nous accostons et, du haut d'une colline de l'île, nous avons un joli panorama sur tous les environs.

Les canots nous reprennent et nous ramènent au point de départ. Puis, l'autocar nous transporte à une dizaine de kilomètres de là, dans la forêt où nous devons manger. La sollicitude vraiment paternelle de Si Ben Hafsia, qui, sans façon, nous sert en personne, nous met tout à fait à l'aise, et le repas est des plus gais. Puis, le concert se fait entendre pendant qu'on sert le thé. Il fait si beau, on est si heureux que dans cette sympathie universelle qu'on se sent pour les êtres et les choses, on voudrait embrasser tout le monde, tout.... tenez même le chauffeur que l'enthouasme de ses compagnons de route n'a pas manqué de gagner et qu'on traite absolument comme un vieux copain...

Sur la route de Mateur, à Mechtouta, Si Béchir El Maâmouri nous attend et nous donne de larges explications sur les travaux intéressants qu'il a effectués sur des terres autrefois presque stériles et qui maintenant, avec les nouvelles plantations à la nabeulienne, promettent beaucoup.

Au moment du départ, il nous offre un thé et nous voilà en route pour Mateur. La route est bien longue, mais on le sent à peine. A Mateur,

Après une longue course mouvementée à travers champs, par des pistes peu battues, je parie que vous sentirez une faim de loup.

D'ailleurs, le repas est rapidement servi par ceux-là mêmes dont nous sommes les hôtes; un repas fort pittoresque, qui n'a rien de frugal et où la gaîté est de toute rigueur. Le cadre se prête merveilleusement bien à ce joyeux festin, un cadre absolument féerique fait de rochers et de grottes, avec une petite cascade tout près, dont le bruissement discret et continu vient chatouiller légèrement les sens.

Puis c'est le retour vers l'autocar, puis la visite de Saint-Joseph de Thibar, où les pères blancs vous réservent un accueil des plus chaleureux. Et, après avoir admiré les beaux tapis travaillés par les jeunes Bédouines des alentours, on vous fait visiter les écuries, les étables, les porcheries, les hangars et.... si vous ne craignez pas l'odeur du bon muscat...., la cave.

Dougga...., la magnifique Dougga dans un décor vraiment grandiose. Les dernières lueurs du soleil couchant dorent les hautes colonnes et leurs beaux chapitaux, les gradins de l'amphithéâtre, les silos, les citernes. Vite, des photos. Mais je vous vois pensif ? Je parie qu'en foulant les larges dalles irrégulières, où les traces des roues sont encore visibles, vous n'avez pu vous empêcher de vous repporter à vingt siècles en arrière et de voir en imagination des chars massifs, rentrer dans une auréoae de poussière. Et maintenant, « l'herbe de l'oubli, sur tant de vanités, croît éternellement »...

Que c'est beau !

On voudrait bien y rester encore, mais il faut partir. La voiture démarre de nouveau dans un joli clair obscur.

Nous voilà au Kef, où nous recevons le meilleur accueil. M. Chadly El Okby, accompagné de plusieurs notables, vient à notre rencontre et nous conduit chez Si Ahmed Kaddour, qui nous souhaite la bienvenue.

Là nous attend un copieux repas qui se prolonge tard dans la nuit.

Puis, tandis qu'on prend le café, un petit concert est donné par des musiciens... amateurs.

Maintenant, nous voilà dans un dortoir de l'internat.

Après deux ou trois heures de lourd sommeil, vous sautez joyeusement au bas du lit, tout frais et dispos.

Vite, une belle promenade matinale hors des remparts, puis dans la ville, notamment au Caïdat où M. Chadly El Okby nous renouvelle ses souhaits de bon voyage et au Tribunal régional, où M. le Commissaire du Gouvernement et le Président du Tribunal nous reçoivent respectivement chacun dans son cabinet.

EXCURSION DU NORD-OUEST

Il y a des évènements qui vous laissent une telle richesse de sensations et d'images, qu'on ne peut en évoquer un seul détail sans les revivre en entier. Certainement, l'excursion de la Jeunesse Scolaire dans le Nord-Ouest tunisien en est un. Je n'entreprendrai pas de vous raconter tout, absolument tout. Ce serait trop long, et puis....., non, c'est impossible. Il faut y avoir été. Mais rassurez-vous quand même, si vous n'êtes pas difficile, vous vous contenterez bien de quelques impressions; elles sont si nombreuses, si fortes, que je n'aurai qu'à puiser dedans.

Maintenant, vous allez me faire le plaisir de me suivre partout où je serai; non pas effectivement, car j'ai la vague impression que c'est trop tard, mais seulement par la pensée, par l'imagination.

Figurez-vous d'abord dans un autocar, parmi une joyeuse bande de quarante jeunes gens qui ne songent qu'à profiter jusqu'à la dernière minute de trois grands jours de liberté. N'essayez pas surtout de les empêcher de crier, de chanter, d'applaudir : vous n'y arriverez pas. Bien au contraire, vous vous sentirez insensiblement gagné, entraîné par l'enthousiasme général, et, malgré vous, vous ferez encore plus de tapage qu'ils n'en font.

Cependant,l'autocar file allègrement, par cette charmante matinée, de printemps. Vous voilà à Medjez-el-Bab.

Là, un petit arrêt, juste le temps de voir la ville et le pont de la Medjerdah, et puis en route ! Testour ! Là aussi, on descend, on visite le village après avoir pris un café offert par Si El Hadi ben Attia, qui a la délicatesse de souhaiter la bienvenue à toute la compagnie.

Puis, c'est Téboursouk. Les autos que vous voyez arrêtées en face du caïdat, sont celles où sont venus à notre rencontre MM. le Caïd, le Khalifat, le Cadi, les Cheikhs, les Notaires, ainsi que d'autres personnalités. Les salamaleks échangés, le cortège s'ébranle.

Pour le guide, vous ne sauriez souhaiter en avoir un de plus qualifié : c'est M. Ahmed El Maâmouri, le Caïd, qui s'offre en personne pour vous promener à travers les rues claires et escarpées de la ville, pour vous retracer l'historique de la région et vous faire admirer les monuments anciens. C'est gentil, n'est-ce pas ? Et puis, vous m'avouerez qu'une telle leçon n'a rien de comparable à celle que vous recevriez, dans une classe soigneusement fermée, entre quatre murs sévères, d'un professeur dont les seules lunettes vous donnent une envie irrésistible de bâiller.

Ensuite, l'autocar vous transporte à quelques kilomètres de là, en pleine campagne.

Les excursionnistes aux Jardins de Thibar

Les excursionnistes à l'Amphithéâtre de Dougga

Lunch offert en l'honneur de la caravane à Bizerte

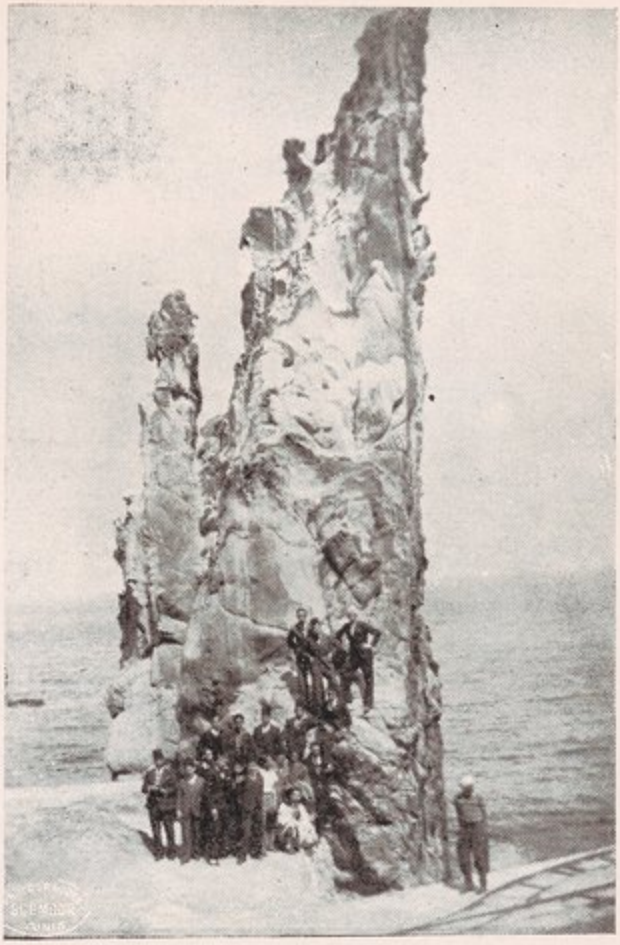

La Caravane devant les Aiguilles de Tabarca

Promenade en mer autour de l'île de Tabarca

Quelques excursionnistes au " Bec d'Aigle "

Groupe au cours de l'Ascension de la colline de Korbous

Il n'est pas encore midi. On grimpe sur la montagne; on escalade à qui mieux mieux les points les plus culminants.

On s'arrête de temps à autre pour admirer la beauté du site, un site particulièrement imposant où la montagne et la mer, ces deux grandes force sde la nature, se trouvent réunies, s'affrontent éternellement, tantôt en chocs formidables et destructeurs, tantôt en caresses douces comme des baisers.

La nature séduisante et inspiratrice donne du courage, de l'énergie et de la vie aux camarades. Dans chaque coin, on n'entend que des éclats de rires et des chants qui se répandent au-dessus de la ville en de charmants et vibrants concerts.

Une cloche sonne.

C'est midi !

Tous les Jeunes, fatigués, et ayant une faim de loup, descendent de la montagne et courent vers l'Hôtel des Thermes où des mets succulents les attendent.

Sans protocole, ils prennent place autour d'une grande table, arrangée pour la circonstance dans une salle magnifique.

On chante, tantôt en chœur, tantôt individuellement.

Le camarade Othman « Ben Amor » se distingue par sa jovialité débordante; il contribue dans une large mesure à la gaîté de tous.

Le repas fini, on prend le café.

On organise un véritable concert au salon de thé. Piano, Rebeb et violon déchaînent l'enthousiasme et transportent de joie la charmante compagnie.

A 3 heures, on visite la station thermale et le Baccara.

Ensuite, on monte au Bec d'Aigle. C'est pénible, mais tout le monde arrive au sommet de ce point d'où l'on domine en une vue magnifique le golfe de Tunis et tout le Cap Bon.

A 5 heures, réunion dans le même hôtel.

On prend le thé dans la même atmosphère de gaîté.

A 6 heures, tous les excursionneistes sont dans l'auto-car.

On quitte Korbous en direction de Tunis.

Arrivés à la Capitale, tous les Jeunes se séparent après les embrassades et les échanges de salutations.

Ils rentrent tous chez eux, au grand complet, sains saufs, tout en jurant de « remettre ça » à la plus prochaine occasion.

M. H.

EXCURSION DE KORBOUS

C'est dimanche 29 Janvier qu'a eu lieu la grande excursion à Korbous, organisée par la Jeunesse Scolaire (section des Anciens Elèves du Collège Sadiki).

Empressons-nous de dire, avant de donner le compte rendu de cette joyeuse promenade, que nos « Jeunes » ont passé une journée des plus intéressantes, des plus agréables et des plus instructives.

Les organisateurs, qui méritent tous nos encouragements, n'ont rien oublié pour assurer le succès de leur premier déplacement.

A 8 heures du matin, tous les camarades, charmants gars de 18 à 20 ans, prennent place dans l'auto-car qui va les transporter à Korbous, la côte du soleil, inconnue de tous.

La brise est fraîche; le temps indécis inquiète les moins pessimistes.

Huit heures. L'auto démarre.

Joie générale, applaudissements, hurrahs.

Les voyageurs oublient leurs inquiétudes, et le ciel, toujours maussade, et le temps encore indécis.

Ils chantent avec entrain, ils trépignent.

Oui, jamais ils ne se sont sentis aussi unis, aussi contents, aussi gais ! C'était plaisir à les voir, à les entendre !

L'auto brûle les étapes; elle arrive à la Corniche.

Spectacle grandiose !

Impressionnés, tous les Jeunes se mettent à admirer le beau tableau qui s'offre alors à eux par un temps quasi-brumeux et mélancolique, qui fait mieux ressortir la beauté du paysage.

A trois kilomètres de Korbous, l'auto s'arrête.

Tout le monde descend.

C'est alors la débandade, une course effrénée et joyeuse à travers les sentiers étroits qui mènentà Aïn Oktor.

On boit à labonne source. On prend des photos. Dix minutes après, on prend place dans l'auto.

Le paysage est splendide ! Les nuages se dissipent petit à petit. Le soleil apparaît, quand une salve d'applaudissements annonce l'arrivée à Korbous.

En groupe, on visite la ville coin par coin; on déguste des cafés au café maure de Aïn Kebira.

On se rend à Aïn Sbia, puis à Aïn Attrous.

Là, on s'adonne aux amusements divers, aux amusements traditionnels.

Quelles vues splendides et grandioses, quels coins pittoresques et poétiques, quelles délices pour les âmes de vingt ans !...

Mais sous le ciel tunisien, il n'y a pas seulement des spectacles naturels d'une beauté incomparable, des régions réputées par leurs sites et leur charme exquis, mais aussi des vestiges de plusieurs civilisations, les plus éclatantes qu'a connues le monde et qui se sont succédeées sur notre sol à travers les siècles : civilisation carthaginoise, romaine, arabe..... C'est tout le passé de notre cher pays que nous revivons par la pensée et que des ruines qui nous imposent et nous émeuvent par leur splendeur et tout le mystère qui les enveloppe, nous aide à réaliser ! Oui que de ruines ont défié les forces destructrices des éléments naturels les plus fougeusement déchaînés, et nous présentent bien vivant et autrement plus intéressant qu'un fatidique cours débité du haut d'une chaire de lycée, un passé riche en enseignements de toutes sortes ! Et pour ceux qui ont des prédispositions à l'archéologie, quelle source inépuisable et féconde en détails précieux !.....

Bien nombreux sont aussi ceux qui peuvent trouver leur vocation en étudiant au cours de ces excursions, les différentes industries locales si variées, les multiples productions d'un sol si fertile et entrevoir les possibilités qu'on peut en tirer pour l'avenir !...

Enfin, des esprits plus avertis exerceront leur perspicacité jusque dans le domaine moral pourtant plus complexe et exigeant plus de temps et plus d'observations. Mais on peut, avec un peu de compréhension, connaître les différences de coutumes, de mœurs qui caractérisent certaines régions et distinguent une ville d'une autre.... Et ainsi on est plus à même de comprendre la psychologie de l'âme tunisienne dans sa diversité si ondoyante et complexe.

⁂

Voilà ce qui, à notre avis, justifié l'importance que nous avons accordé aux excursions. Nous avons tenu à suivre dans leur organisation un plan méthodique et sûr. Et si l'on songe à la modique contribution exigée des participants, on conviendra avec nous qu'elle est à la portée de toutes les bourses.

Et maintenant, ami lecteur, je vous laisse le soin de juger par vous même de ce que nous avons fait. Ayez la patience de nous suivre par l'imagination dans nos pérégrinations.... Je m'empresse donc de céder la plume aux charmants excursionnistes qui seront sûrement enchantés de vous servir de *guides* !

ABD EL AZIZ BELLALOUNA

LES EXCURSIONS.

Les voyages ont toujours constitué pour ceux qui ont des yeux pour voir et le goût de connaître, de précieux compléments aux établissements scolaires. C'est aussi l'un des moyens de se divertir les plus sains pour la jeunesse, quand ils se présentent sous la forme de sorties en groupes. C'est ce qu'un dicton français a, je crois, voulu exprimer en disant : « les voyages forment la jeunesse. » Aussi notre Association a-t-elle fait des excursions, une manifestation des plus essentielles de son activité. Dans les statuts qui régissent notre groupement, nous avons mis les excursions sur le même plan que les conférences.Mais avouons que nous n'avons nullement songé, dès le début de notre activité, à une réussite telle que celle que nous enregistrons aujourd'hui avec joie et fierté. Des encouragements venus de toutes parts, le désir manifesté avec insistance par tant de jeunes, avides de lointaines horizons et le brillant succès de notre première tentative, nous ont obligé à hâter la réalisation de cette partie de notre vaste programme. C'est que notre jeunesse est loin d'être casanière, comme on l'a si souvent accusé d'être, bien à tort à notre sens. Mais elle craignait jusqu'ici les responsabilités et n'osait prendre des initiatives. Et une fois le premier pas franchi, le succès a dépassé notre espérance. Nous avons dû refuser, à notre grand regret, bien des jeunes faute de places, l'autocar que nous prenons, ne pouvant contenir qu'une quarantaine de voyageurs.

Est-il besoins de rappeler les profits considérables, les précieuses leçons que notre groupe a tirés de ces lointaines et fassionnantes randonnées ?

L'un des buts de notre Association est de créer, de cimenter des liens d'amitié et de camaraderie, entre ses différents membres. Et y a-t-il un moyen plus efficace et plus opérant que ces sorties en groupe pour créer une atmosphère d'intimité et de cordialité où de nouvelles sympathies s'ébauchent ou d'anciennes amitiés se consolident ?

Est-il permis d'autre part à une jeunesse appelée à devenir l'élite du pays, d'ignorer les beautés que recèle ce pays ?

La Tunisie est en effet un pays magnifique, riche en sites d'une rare beauté. La nature s'y pare de ses plus beaux atours et au voyageur enchanté, elle offre des spectacles qui frappent l'imagination et provoquent l'enthousiasme !

LISTE DES CONFÉRENCES

	CONFÉRENCIERS	SUJETS	Langue	DATE
	MM.			
1	Mohamed Salah Annabi	" Le rire " d'après Bergson	Fr.	Juin 32
2	Saïd Mabrouk	La langue arabe	Ar.	»
3	Habib M'Barek	Mysticisme et Maraboutisme	Fr.	»
4	Dr Ahmed ben Milad	Esskoulli	Ar.	Juill. 32
5	Ali Belhouane	Ibn Khaldoun	»	»
6	Mohamed Ali Annabi	La Civil. Musul. vue par L. Bertrand	Fr.	Août 32
7	Hassen Zmerli	Le poète tunisien Ibn Seïd	Ar.	Sept. 32
8	Ali Belhouane	Abou Firas	»	»
9	Tahar Lakhdar	André Gide et la Femme	Fr.	1-11-32
10	A. Bellalouna	Education et Jeunesse	»	7-11-32
11	Othman Kaâk	Littér. Carthaginoise	Ar.	12-11-32
12	Chadly Snoussi	Evolution de la litt. tunisienne	»	20-11-32
13	Othman Kaâk	Litter. berbère	»	27-11-32
14	Chadly Snoussi	Gœuthe	»	4-12-32
15	Othman Kaâk	Litt. latine africaine	»	11-12-32
16	Othman Kaâk	Litt. Aghlabite	»	18-12-32
17	Chadly Thameur	Montaigne	»	8-1-33
18	Mohamed Salah Annabi	L'Education Civique	»	15-1-33
19	Taïeb Slim	La Jeune Fille tunis. et nous	»	23-1-33
20	Kucei Mekki	Visions de Java	Fr.	12-2-33
21	Ali ben Salem	L'Art Musulman et la Jeunesse	«	19-2-33
22	Chadli Nifer	Avènement des Husseinites	Ar.	12-3-33
23	Hassen Zmerli	Les Hafsides	»	19-3-33
24	Othman Mencia	El Moutanebbi	»	26-3-33
25	Mohamed Klibi	De la langue Arabe	»	12-4-33
26	Habib Farhat	La psychologie du rêve	Fr.	23-4-33
27	Mahmoud Messâdi	La religion de l'Humanité	»	14-5-33
28	Hatem Mekki	Du dessin	»	21-5-33
29	Mohamed Bekir	Amr Ibn Rabiâ	Ar.	28-5-33
30	Mohamed Daouas	L'Instinet	»	4-6-33
31	Abdelwahab Bekir	L'Esthètique	»	17-7-33
32	Ali Belhouane	Ibn Khafaja	»	25-7-33
33	Ali ben Salem	De l'idée du beau et du vrai	Fr.	8-8-33
34	Sadok Mekaddem	Mon voyage au Maroc	Ar.	29-10-33
35	Bahi Ladgham	Vie et évol. de l'architec. musul.	»	5-11-33

LES CONFERENCES

Parmi les jeunes, il y a un évènement hebdomadaire que l'on attend toujours avec impatience; c'est la réunion dominicale du cercle de la Rue Dar Djeld, manifestation intellectuelle assidûment fréquentée, et toujours conduite avec succès grâce aux actifs adhérents de la Jeunesse, qui répondent chaque fois et en grand nombre à l'appel du Comité Organisateur. Avant la séance, causeries particulières; la séance ouverte causerie, parfois contradictoire sur la littérature, l'art, la sociologie ou l'histoire, etc. La matière ne manque pas, Dieu merci ! Nous avons en particulier une littérature encore mal connue à étudier, une civilisation et un art aussi, sans compter les différents problèmes auxquels ces deux questions peuvent donner lieu : éducation, mariage, maraboutisme, etc.

Un sujet est annoncé; il soulève immédiatement une curiosité générale; chacun se met à l'œuvre, et grâce aux efforts de tous, on arrive toujours à une connaissance quasi parfaite de la question, connaissance d'autant plus profitable,que les programmes scolaires,forcément restreints ne permettent pas de tout voir et de tout savoir. Habituer l'élève dès la sixième à comprendre un sujet, à le traiter, à lui donner les proportions qu'il comporte; lui apprendre à s'exprimer, à raisonner, voilà, d'autre part l'intérêt que présentent les causeries de la *Jeunesse Scolaire*. Il faut noter aussi que les modèles du jeune collégien ne sont pas toujours des camarades plus âgés, du second cycle seconndaire, mais aussi des professeurs et des étudiants, déjà formés, et possédant les questions qui dépassent sa compétence. Cependant, afin d'encourager les jeunes, de faire naître parmi eux une émulation qui ne peut qu'être favorable à l'éclosion de leurs dons intellectuels, le Comité a fait de telle sorte que la grande majorité des conférenciers ont été des élèves.

Nous aurions voulu, afin de fixer le lecteur, publier la totalité des conférences qui ont été données au local de l'Association; mais cela demanderait un certain nombre de volumes et une dépense nettement supérieure aux ressources dont nous pouvons disposer. Aussi, nous sommes-nous contentés d'en faire paraître quelques-unes et d'en dresser une liste qui en dit long et sur les conférenciers, et sur l'intérêt que présentent les sujets traités.

Le Secrétaire Général de la « Jeunesse »,

BAHI LADGHAM

Nous espérons, que nos jeunes amis, élèves aux divers établissements secondaires de Tunis, ne manqueront pas de venir nombreux apporter la modique contribution nécessaire à toute œuvre qui vit, se développe et prospère ! Nos aînés, pleinement conscients de leurs devoirs envers les jeunes et devant les résultats prometteurs que nous avons obtenus, sauront soutenir de leur appui moral et pécuniaire un groupement qui est le seul à réunir la Jeunesse Tunisienne.

Que ceux d'entre nos amis et nos aînés, qui n'ont pas attendu ce témoignage vivant de notre activité pour nous accorder leur confiance et nous apporter leur aide, trouvent ici toute notre gratitude et nos chaleureux remerciements !

ABD EL AZIZ BELLALOUNA

Trésorier de la « Jeunesse Scolaire »

RAPPORT FINANCIER

Nous extrayons ce chapitre du rapport financier de l' A. A. E. C. S. dont notre groupement n'est qu'une filiale.

Nous soumettons au lecteur l'ensemble des recettes et des dépenses affectées à notre section, jusqu'au 31 octobre 1933 inclus :

I RECETTES

1° — Somme affectée à la *Jeunesse* après l'exercice 1931-1932	41,50
2° — Cotisations	347,50
3° — Dons : *Carnet n°* 1 (20 *dons*)	650,00
Carnet n° 2 (78 *dons*)	480,00
4° — Produit des Excursions : *Excursion du N.O.*	400,00
Excursion de Bizerte	25,00
TOTAL....	1944,00

II DEPENSES

1° — Frais des Excursions : *Excursion de Korbous*	95,00
Excursion du Cap Bon	100,00
2° — Frais du banquet organisé à *Bagdad* fin juin 1933	142,50
3° — Frais nécessité par le « Concours Ben Hafsa »	5,00
4° — Frais de correspondance	5,00
5° — Frais de la fête d'ouverture de l'année scolaire (octobre 1933)	105,00
TOTAL.....	452,50

Il reste donc en caisse au 1er novembre 1933 :

Recettes :	1944,00
Dépense :	452,50
	1491,50

Cette somme a été affectée à la publication du présent bulletin.

enregistre depuis la création de la *Jeunesse* réunit dans la spacieuse Salle de « Baghdad » plus de soixante couverts. Les Anciens eurent par la même l'occasion de se rendre compte de l'activité des jeunes, sur lesquels ils fondent tant d'espoirs, et de distribuer certains prix : Prix de la meilleure Conférence, Prix du Concours Ben Hafsia, Prix d'activité, Prix de réussite aux examens.

Mais il faut, à notre sens, avoir vécu au milieu de cette Jeunesse, pour se rendre compte de ce qu'elle vaut, de ce qu'elle promet, pour pouvoir fonder sur elle les plus grands espoirs et croire à la fécondité de ses efforts, dont les fruits intellectuels ne tarderont pas à apparaître au grand jour pour le bien de tous.

Le Secrétaire Général de la « Jeunesse »,

BAHI LADGHAM

rité, grâce à M. Le Directeur Général de l'Instruction Publique et des Beaux-Arts, à MM. les Caïds, Kahias, Khalifats, anciens élèves du Collège Sadiki, et en particulier à leur distingué président M. Mohamed Malki auxquels nous ne saurons assez exprimer nos vifs sentiments de gratitude.

Parallèlement à ces initiatives, le bureau s'est préoccupé aussi de l'éducation artistique des jeunes. A propos d'une conférence sur l'art musulman faite par un élève de l'Ecole des Beaux-Arts, et profitant de la présence d'un peintre orientaliste de talent M. Abdennor, une exposition de peinture et d'aquarelle eut lieu dans la salle de réception des Anciens. Le bureau tâcha de réunir les œuvres les plus caractéristiques et les plus promettantes des jeunes artistes tunisiens. Parmi les exposants, à côté des peintres Tahar Ben Ezzeddine et Ben Salem, dont le talent est déjà bien connu, il faut citer les frères Dziri, Mrabet, Salah Mrad, Kucci Mekki, Hatem Mekki, prodigieux aquarelliste et caricaturiste.

Le succès de cette manifestation artistique sans précédent a incité le bureau à la rendre annuelle, et à la baptiser du nom d'*Exposition annuelle de la Jeunesse*., afin de faire naître chez nos jeunes artistes une émulation qui ne sera que favorable à l'éclosion des possibilités de chacun dans le domaine de l'art.

D'autre part, dans l'intention de fournir aux adhérents des instruments de travail qu'ils ne pourraient peut être pas trouver ailleurs, ou du moins dont ils ne pourraient profiter comme ils le voudraient, le bureau des jeunes a commencé la formation d'une bibliothèque, dont la composition a été confiée à M. le Professeur Attia, agrégé de l'Université professeur de lettres au Collège Sadiki; respectable sinon par le nombre, du moins par le choix de ses livres, elle grossira sans doute, grâce aux bienfaiteurs soucieux de développer chez les secondaires le goût des recherches.

Indépendamment des conférences et des excursions, la fin de l'année scolaire fut marquée par deux évènements non sans importance : le concours Ben Hafsia, et le banquet annuel.

Institué et doté de nombreux prix par M. le Kahia Ismaïl Ben Hafsia, ce concours avait pour but de couronner les meilleures dissertations faites en arabe sur un sujet se rapportant aux excursions. Il eut lieu à la fin de juin. Les participants furent tout naturellement des excursionnistes. Contrôlé par des Professeurs, d'éminents fonctionnaires et un membre du bureau des jeunes, il causa parmi la jeunesse un véritable enthousiasme, tant à cause de sa nouveauté sans précédent, qu'à cause des prix qu'il comportait. Le banquet annuel, — le deuxième — qu'on

Le premier but de tous nos efforts fut d'intéresser le plus possible les jeunes gens à notre groupement en organisant des conférences, et en dirigeant une propagande intense dans tous les milieux scolaires; le résultat dépassa tout ce qu'on pouvait escompter, et la salle des conférences s'avera trop étroite pour contenir cette ardente jeunesse avide de se connaître, d'exposer ses idées, littéraires, artistiques dans cette langue si pure et si vivante qu'est le parler arabe. Et depuis, chaque dimanche, de 2 à5 heures, et parfois même jusqu'à 7 heures, il y eut réunion, avec causeries littéraires, artistiques, historiques, parfois contradictoires. On parla français de la littérature française, et arabe de la littérature arabe. Il en vint d'Alaoui, de Sadiki, de la Grande Mosquée, du Lycée, de l'Internat des Moudarrès, de l'Ecole Professionnelle. Les bonnes volontés ne manquèrent pas. Témoin la rubrique *Conférences* que le lecteur trouvera plus loin, et qui le fixera sur les efforts déployés et par les conférenciers, la plupart du temps des jeunes, et par les organisateurs.

Nous ne saurons assez remercier, à ce propos, M. le Docteur Ahmed Ben Milad, M. le Professeur M'hamed Ali Annabi, M. le Professeur Othman Kaâk, M[e] Tahar Lakhdar, et nos camarades étudiants Ali Belhaouane, Hassen Zmerli, Abdelwahab Bakir pour le précieux concours qu'ils ont apporté dans les manifestations intellectuelles de notre groupement, en donnant des conférences qui ont recueilli tous les suffrages.

Encouragé par ce succès éclatant, le bureau songea à réaliser la seconde partie de son programme, aussi importante que la première : les excursions. Faire connaître leur pays, du moins ce qu'il y a de plus intéressant dans ce pays, aux jeunes, tel a été le but de tous nos efforts. La plupart avait entendu parler de Dougga, de Bulla-Reggia, d'Aïn Draham, de Tabarca, de Korbous, d'Hammamet; mais à cause des frais onéreux nécessités par les déplacements individuels, presque tous ignoraient la véritable beauté, le vrai aspect de ces sites pourtant si renommés à l'Etranger. A l'exemple des caravanes scolaires organisées en France, la « Jeunesse Scolaire » dirigea pendant l'année scolaire 1932-1933 une série de quatre excursions à travers le Nord de la Régence et le Cap Bon, dont le moins qu'on en puisse dire est qu'elles ont admirablement réussi, malgré notre jeune expérience.

Chaque fois, et toujours, le comité des Excursions fut, à son regret, obligé de ne prendre que quarante adhérents — ce que peut contenir l'autocar le plus spacieux; chaque fois le voyage fut pour tous un véritable délice, et en même temps une leçon de choses incomparable. Il faut dire aussi que les encouragements moraux et matériels ne manquèrent pas.

Nos randonnées , dont l'ensemble comprend un circuit de plus d'un millier de kilomètres, furent entourées du maximum de confort et de sécu-

RAPPORT MORAL

Avant de donner un aperçu, assez restreint d'ailleurs sur l'activité de la « Jeunesse Scolaire » depuis l'élection du comité sortant, il ne serait pas superflu, à notre sens, de présenter notre groupement au lecteur de le lui montrer, dans les diverses phases de sa formation, ensuite dans sa période actuelle de féconde maturité.

La « Jeunesse Scolaire » n'est pas la seule association estudiantine qui ait vu le jour depuis qu'il existe en Tunisie des écoles secondaires autres que la section secondaire de la Grande Mosquée; il faut dire, à la décharge de nos prédécesseurs que des tentatives assez sérieuses ont été faites dans cet ordre d'idées; mais aucune d'elles n'a vécu assez longtemps pour porter les fruits intellectuels que l'élite du pays était en droit d'attendre d'elle. Elles furent la plupart du temps des œuvres éphèmères, conçues trop rapidement, trop spontanément, par des enthousiastes incapables d'un effort suivi. D'autre part, leur défaut à toutes, c'est d'avoir été des cercles fermés, exclusifs, formés par des Sadikiens et pour des Sadikiens, et où les autres éléments de la population scolaire n'avaient pas voix; il y avait aussi des partis pris, des négligences coupables, des divergences de vue qui, heureusement n'existent plus aujourd'hui, et il ne nous appartient pas d'établir là-dessus les responsabilités.

La « Jeunesse Scolaire » seul et unique foyer des jeunes secondaires tunisiens, instruite par l'exemple de ses sœurs mortes dans l'œuf, n'est pas tombée dans la même impasse. Elle est venue à un moment où, plus que jamais, les élèves avaient besoin de se grouper, de se connaître, de travailler en commun à parachever leur culture, de se former en un mot, en conservant le génie de notre civilisation, en veillant sur les destinées de notre langue. Devant le développement sans cesse grandissant de *jeunesses* de toutes sortes; la jeunesse tunisienne, formée des enfants du pays a pris conscience de ses obligations, et s'est groupée en une association littéraire, plus utile pour elle que n'importe quelle forme d'association.

Sollicités de présider aux destinées de la « Jeunesse » les Anciens de Sadiki acquiescèrent, et d'un commun accord la considérèrent comme une section — ce qui lui confère un caractère évident de légalité — et se réservèrent le seul droit d'exercer un contrôle moral.

Le règlement intérieur de la section, rédigé dans l'esprit même des statuts de l'Association-Mère, et qui, à lui tout seul constitue un programme d'action appréciable, commença de manifester son existence avec le Comité élu régulièrement fin mai 1932.

che, à surmonter les difficultés de toute nature et de tout ordre qui se présentèrent à nos jeunes expériences.

Succès et résultats, nous les devons à une volonté ferme et disciplinée, à des concessions aisément consenties et réciproques et surtout à un désir de bien faire et de travailler en commun en vue de l'élévation intellectuelle et morale !

Notre groupe ainsi discipliné, éduqué et instruit laisse fonder sur lui de grands espoirs ! Il est fermement attaché à son œuvre et décidé à aller encore de l'avant sans jamais dévier de la ligne de conduite qu'il s'était tracée, ni reculer devant l'action intelligente et continue !

Nous sommes résolus à poursuivre notre marche car nous voyons devant nous le but, un but qui promet de doux délassements !

Nous ne marcherons pas seuls mais auprès de compagnons fidèles, auprès de nos Ainés dont l'appui, moral et matériel, plus que nécessaire, ne nous a jamais fait défaut. Que tous (anciens élèves du Collège Sadiki, Caïd, Kahia, Khalifat) et particulièrement Monsieur Mohamed El Malki, distingué Président des A. E. C. S., qui s'est constamment intéressé à notre œuvre et ne nous a point épargné son concours et ses conseils, trouvent ici avec nos remerciements les plus chaleureux l'expression de notre profonde gratitude.

HABIB M'BAREK

Président de la « Jeunesse Scolaire »

A NOS CAMARADES

Après une année d'efforts et de labeur soutenus, notre groupement a cru devoir résumer son œuvre et laisser, à tous ses membres ainsi qu'à tous ceux qui n'ont cessé de l'encourager ou de s'intéresser à ses travaux, un souvenir vivant de son activité au cours de l'année 1932-1933.

Sans s'étendre sur l'historique de notre section, il ne serait pas inutile de rappeler très brièvement dans quelles conditions elle a été créée et dans quelle atmosphère elle a pris naissance.

L'Association-Mère a eu de tout temps sa Jeunesse Scolaire; elle organisait des cours où tous les Anciens (jeunes fonctionnaires ou étudiants) trouvaient leur profit.

Notre Jeunesse est tout à fait différente de celles qui l'ont précédée; elle a un caractère bien défini, une vie plus marquée.

C'est seulement au cours de l'année 1932 qu'un grand nombre de camarades ont senti un secret besoin de travailler en commun dans un cadre purement scolaire, de s'unir, de fraterniser.

Ils ont compris déjà que se taire ou être indifférent à l'égard des mouvements intellectuels ou artistiques — présents ou passés — est un crime de lèse-humanité !

Ils ont compris aussi que leurs efforts et leur activité ne sauraient être féconds que s'ils étaient préparés par un sérieux travail d'éducation individuelle et sociale !

Ils ont compris enfin que l'organisation d'excursions et de causeries portant sur la littérature, la philosophie, l'histoire, l'art, contribue non seulement à enrichir — dans une atmosphère de franche camaraderie — leur bagage intellectuel mais aussi à fixer le champ de leurs idées et à les mettre au point ! Ils ont eu alors, dans un élan d'enthousiasme, l'heureuse initiative — après s'être assurés de l'assentiment des Ainés — de créer, au sein de l'Association-Mère, une section dite « *Jeunesse Scolaire* » dirigée par un comité composé de membres élus. Ceux-là ont eu tout de suite conscience de leur rôle et de la tâche délicate et parfois ingrate qui leur incombe.

Agissant de concert et toujours en parfait accord, nous nous sommes de bonne heure attelés à l'action pour réaliser notre vaste programme.

Nos efforts ont été souvent couronnés de succès; les résultats appréciables de nos initiatives nous ont encouragés à persévérer dans notre tâ-

ASSOCIATION

DES

ANCIENS ÉLÈVES DU COLLÈGE SADIKI

JEUNESSE SCOLAIRE

TUNIS
INPRIMERIE TUNISIENNE
1933

الشبيبة المدرسية فرع جمعية قدماء
الصادقية .

[redacted]
جمعية قدماء الصادقية
الشبيبة المدرسية فرع جمعية قدماء الص
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01022951

371.83
J327sA